عناية الإسلام بترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي في المجتمع وتطبيقاتها في العهد النبوي

د. مصطفى بن عبد الرحمن البار
قسم الدعوة – كلية المعهد العالي للدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عناية الإسلام بترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي في المجتمع وتطبيقاتها في العهد النبوي

د. مصطفى بن عبد الرحمن البار

قسم الدعوة –المعهد العالي للدعوة والاحتساب
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٢/ ٤/ ٢٣ تاريخ قبول البحث: ٢٤/ ١١/ ١٤٤٤ هـ

ملخص الدراسة:

العنوان: عناية الإسلام بترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي في المجتمع وتطبيقاتها في العهد النبوي

الأهداف: إبراز عناية الإسلام بقيم التسامح والتعايش السلمي في المجتمع.

المنهج: الاستقرائي والاستنباطي؛ لتتبع المادة العلمية، ومن ثم فحصها وتحليلها، وضبط آلية تناولها.

أهم النتائج: إن حِقب التاريخ لا تخلو من خوادش السلام وخوارمه، وتسمين بوادر الصراع ودعوات رفضها ونقدها، ومن ذلك إعلان منظمة اليونسكو لمبادئ التسامح عام ١٩٩٥م، وحداثة إدراج مصطلح التعايش السلمي في قواميس العلاقات الدولية أواسط القرن العشرين، وأنه بشيء من التأمل في خطاب القرآن والسنة يُشاهد بجلاء كثرة توافر مؤكدات الاعتناء والاهتمام بانتظام شؤون البشر؛ بما يحقق لهم التعارف والتآلف، ويباعدهم عن مسببات التنافر والتصادم منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، واحتوائه الكثير من السمات المعززة للتسامح والتعايش السلمي، والمرسخة لها في نفوس الناس وسلوكياتهم، وأنه كان منهجاً بارزاً في بناء وتقوية علاقات المسلمين ببعضهم، وكذلك كان بِراً وإحساناً وجمالاً مع غيرهم؛ ممن ساكنهم وخالطهم، وعاش قريباً أو بعيداً من أوطانهم.

أهم التوصيات: إجراء دراسات تتعلق بممارسات هذا الجانب، وتطبيقاته في عصور الإسلام المختلفة وعصرنا الراهن، تدريسها في مراحل التعليم الأولى، دعم متخصصي التقنية والمونتاج لإخراج تطبيقات، ومشاهدات لمختلف الأعمار والثقافات؛ تُعزز هذه القيم وتُبرز محاسن الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الإسلام/ قيم/ تسامح/ تعايش/ سلمي/ مجتمع.

Islam's Emphasis on Establishing Values of Tolerance and Peaceful Coexistence in Society and its Applications in the Prophetic Era

Dr. Mustafa Abdulrahman Albar
Department of Dawah – Higher Institute of Dawah and Ehtsab
Imam Muhammad lbn Saud Islamic university

Abstract

Title: Islam's Emphasis on Establishing Values of Tolerance and Peaceful Coexistence in Society and its Applications in the Prophetic Era.

Objectives: To highlight Islam's emphasis on the values of tolerance and peaceful coexistence in society.

Methodology: Inductive and deductive approach; to track the literature review, then examine and analyze it, and adjust the mechanism for dealing with it.

Key Findings: History is not free from disturbances and violations of peace, and it is characterized by the emergence of signs of conflict and calls for its rejection and criticism, including the UNESCO's declaration of the principles of tolerance in 1995, and the recent inclusion of the term peaceful coexistence in the dictionaries of international relations in the middle of the twentieth century. With some reflection on the discourse of the Quran and Sunnah, it is clear that there is a large number of confirmations of care and interest in regulating human affairs; in a way that achieves acquaintance and harmony between them, and distances them from the causes of discord and clash for more than 1400 years. It contains many features that enhance tolerance and peaceful coexistence, and establish them in the hearts and behaviors of people. It was a prominent approach in building and strengthening relations between Muslims, and it was also a source of goodness, kindness, and beauty for others; those who lived with them, mixed with them, lived close or far from their homelands.

Key Recommendations: Conducting studies related to the practices of this aspect and its applications in different ages of Islam and the present time, teaching it in the early stages of education, supporting technology and editing specialists to produce applications and scenes for different ages and cultures; that enhance these values and highlight the virtues of Islam.

Keywords: Islam/Values/Tolerance/Coexistence/Peaceful/Society.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

المشكلة البحثية وأهمية الدراسة وحدودها:

إن الاعتناء بالخطاب المتزن الموجه لشرائح المجتمع على اختلاف أصنافهم وأديانهم من الأهمية بمكان، ويتأكد ذلك في كل ما من شأنه ضبط وتيسير أمور الحياة، وتحقيق أمنها وسلامها، وتشتد الحاجة إليه عند بروز ما يُضاده، ومسببات ضعفه وما قد يبدو من مؤديات اضمحلاله وغيابه.

وبشيء من التأمل في الخطاب القرآني، وما صح من السنة النبوية؛ يُشاهد بجلاء كثرة توافر مؤكدات الاهتمام بانتظام شؤون البشر ومعززاتها، وفق تشريعات وقيم ومبادئ سامية؛ تُرسّخ سلامة بناء علاقاتهم وتعاملاتهم المختلفة؛ بما يحقق لهم التعارف والتآلف، ويباعدهم عن مسببات التنافر والتصادم؛ وذلك منذ ما يزيد على ١٤٠٠ سنة.

وأن ممارسة التسامح، وحُسن الخلق بمظاهره وصوره المتنوعة في حياة المسلمين وتطبيقه عمليًّا، كان منهجاً بارزاً في بناء وتقوية أواصر علاقات بعضهم ببعض، وكذلك كان بِراً وإحساناً وجمالاً مع غيرهم؛ ممن ساكنهم وخالطهم، وعاش قريباً أو بعيداً من أوطانهم.

إذ إن التسامح والعيش الآمن ضرورة وحاجة يروم البشر تحقيقها، وتتطلع نفوسهم لجني ما جاد من ثمارها ومكاسبها، وهي لا تعني الضعف وانفلات

القيم؛ وإنما التعارف والتآلف والتعاون المشترك على إعمار الأرض، وجودة الحياة وتحسينها، وتخفيض قلقها وسلبياتها.

وقد سعت البشرية على مر التاريخ إلى تحسين روابط علاقتها المحلية والإقليمية والدولية، ومعالجة ما قد ينجم من خطاب الكره والمشاحنة، ومنها في عصرنا الراهن إعلان منظمة اليونسكو لمبادئ التسامح عام ١٩٩٥م، ومع ذلك لا تخلو الحياة من خوادش السلام وخوارمه، وتغذية وتسمين بوادر الصدام، والمبالغة في تعارض المصالح والثقافات وتنازعها، عوضاً عن تعارفها وتآلفها؛ مما يتطلب إجراء المزيد من الدراسات لمعالجة مثل هذه الظواهر وتحجيمها.

ومن هنا رأيت تناول هذا الموضوع ودراسته من خلال التركيز على عيّنة من الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة والممارسات العملية في العهد النبوي؛ بما يُبرز عظمة هذا الدين، ومحاسنه وسبقه.

أهداف الدراسة:

الهدف الرئيس يتمثل في محاولة إبراز عناية الإسلام بترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي في المجتمع مع استعراض نماذج من تطبيقاتها في العهد النبوي، ويتفرع عنه:

١ – بيان مفهوم التسامح والتعايش السلمي وعدم تعارضه مع الحزم المشروع.

٢ – الإشارة إلى مؤكدات التسامح والتعايش السلمي في الإسلام.

٣ – إبراز بعض ممارسات هذا الجانب مع المسلمين وغيرهم في العهد النبوي.

٤ – تأكيد دعم وسبق الإسلام لتعزيز وتطبيق القِيم الحضارية الراقية في حياة الناس.

منهج الدراسة:

كون مجال البحث يتعلق بجزئية ترتبط بعناية الإسلام بترسيخ مثل هذه القيم، وتطبيقاتها في العهد النبوي، سيتم جمع المادة العلمية الخاصة بهذا الجانب، وتتبع بعض أحداثه ووقائعه باستخدام المنهج الاستقرائي، ومن ثم تحليلها، وفحصها ودراستها من خلال المنهج الاستنباطي؛ بما يُعين على تنظيم المعلومات المتوافرة في قالب معين، وفق المنهج العلمي المتبع في مثل هذه الدراسات.

وذلك لمساعدة الباحث على ضبط وتحقيق أهداف الدراسة، واستنباط نتائج صحيحة، تزوده بالحلول والمقترحات، وما يترتب عليها من توصيات [١].

وقد رُوعي في انتقاء المواقف التطبيقية في العهد النبوي تنوع أفرادها وموضوعاتها لا تسلسل تاريخها، ومحاولة توظيفها وربطها بما يحقق أهداف الدراسة ويخدم مجالها.

---

(١) انظر: مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، الرفاعي، ٨٣.

الدراسات السابقة:

تم التركيز على حصر ما رأى الباحث قربه من مجال هذه الدراسة، وسيتم عرضها بإيجاز بإيراد عناوينها وأبرز ما عُنيت به، وفرقها عن البحث الحالي، ومن تلك الدراسات ما يلي:

• المنهج النبوي في تعزيز قيم التعايش الإنساني، وقد جاءت في مقدمة ومبحثين، الأول: أبرز قيم التعايش الإنساني في المنهج النبوي، الثاني: المنهج النبوي في تعزيز قيم التعايش الإنساني [١].

• العدالة والتسامح في الخطاب الدعوي القرآني ودعوة يونس عليه السلام أنموذجاً، تم تناولها من خلال ثلاثة مباحث، الأول: معاني ألفاظ عنوان البحث، الثاني: ماهية الخطاب الدعوي القرآني، الثالث: دعوة يونس عليه السلام أنموذجاً [٢].

• التعايش السلمي وآليات تكريسه: التسامح الديني نموذجاً، تم تناوله في أربعة محاور: الأول: تحديد مصطلحات الدراسة، الثاني: التسامح في الإسلام، الثالث: ضمان حرية ممارسة الشعائر والشرائع الدينية، الرابع: إشادة علماء الغرب بتسامح وإنسانية الإسلام [٣].

---

(١) عبدالله، زاهي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ١١٩، ٢٠١٩م، ٣٤٣ – ٣٩١.

(٢) المشهداني، معالم سالم، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، ج ١١، ع ١٩، ٢٠١٩م، ٤٧ – ١٠٠.

(٣) دريدي، وفاء – وأجقو، علي، الجزائر، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، ج ٢، ع ١٦، ٢٠١٩م، ٤٣٥ – ٤٦٠.

• المنهج النبوي في تحقيق مقصد التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، وجاء في مقدمة وتمهيد ومبحثين، الأول: الإسلام والتعايش السلمي وتناولت فيه التأصيل الشرعي للتعايش، والأصول والضوابط للتعايش السلمي مع غير المسلمين، الثاني: نماذج من السيرة العطرة في تحقيق مقصد التعايش، وتناولت فيه نماذج قبل وبعد بعثة النبي ﷺ (١).

• التعايش دراسة نقدية في ضوء الإسلام، تم التطرق لها بتقسيمها إلى مقدمة وأربعة فصول:

الأول: مفهوم التعايش المعاصر، الثاني: أسس التعايش المعاصر، الثالث: عن أهدافه، والرابع: عن آثار دعوة التعايش المعاصر على المسلمين (٢).

• دعوة الإسلام إلى الحوار والتعايش والاعتراف بالآخر، تناوله ببيان: عالمية الإسلام، الإسلام والاعتراف بالآخر، ترسيخ الإسلام لثقافة الحوار، مسؤولية المسلمين اليوم (٣).

على ضوء هذا العرض الموجز، وما ورد في تقسيمات تلك الدراسات؛ تتضح جوانب الاستفادة من نقاط الالتقاء والاشتراك بينها، وبين الدراسة الحالية وفق ما تمليه طبيعة الأبحاث العلمية: كالتعريفات، والأهمية وبعض النماذج الداعمة للسياق، فيما تُركز هذه الدراسة على إبراز عناية الإسلام

---

(١) باخشوين، هيفاء أحمد، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، المدنية المنورة، الجامعة الإسلامية، ج ٤٩، ع ١٧٥، ٢٠١٧م، ٢٢٩ – ٢٩٦.

(٢) يلكوي، عبدالله موسى، رسالة ماجستير، اليمن، جامعة العلوم والتكنولوجيا، ٢٠٠٨م.

(٣) كرشيد، الصادق، أعمال ندوة موقع الإسلام في القيم الكونية وحوار الحضارات، تونس، جامعة الزيتونة، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، ٢٠٠٥، ١٨١ – ١٩٤.

بتعزيز قيم التسامح والتعايش السلمي في المجتمع مع نماذج وممارسات تطبيقية على المسلمين وغيرهم في العهد النبوي، وفق ما أُشير إليه في أهدافها، وما جاء في تقسيماتها التالية.

تقسيمات الدراسة:

المبحث الأول: بيان مفهوم التسامح والتعايش السلمي وتوافقه مع الحزم المشروع

المطلب الأول: التعريف بأبرز مفردات عنوان الدراسة

المطلب الثاني: مفهوم التسامح والتعايش السلمي وأهميتهما

المطلب الثالث: توافق قيم التسامح والتعايش السلمي مع الحزم والقوة المشروعة

المبحث الثاني: مؤكدات تعزيز التسامح والتعايش السلمي في الإسلام

المطلب الأول: الحث على التعارف والتآلف لا على الإكراه والتصادم

المطلب الثاني: مراعاة جِبلّة الإنسان وتكريمه والعناية بمنزلته وحفظ حقوقه

المطلب الثالث: وفرة الصفات المعززة للتسامح والتعايش السلمي وتنوعها

المبحث الثالث: تطبيقات قيم التسامح والتعايش السلمي في العهد النبوي

المطلب الأول: تطبيق ترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي مع المسلمين

المطلب الثاني: تطبيق ترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي مع غير المسلمين

الخاتمة: النتائج والتوصيات

قائمة المصادر والمراجع، الفهرس

المبحث الأول: بيان مفهوم التسامح والتعايش السلمي وتوافقه مع الحزم المشروع

المطلب الأول: التعريف بأبرز مفردات عنوان الدراسة

عناية: عناه الأمر، يعنيه عناية: اهتم وشُغل به[١]، كما ترد العناية بمعنى تخليص المرء من محنة وقع فيها[٢]، وفي وقتنا الراهن هناك ما يُعرف في المستشفيات بقسم العناية الطبية المركزة؛ التي تهدف إلى المتابعة المستمرة للمرضى، والاهتمام بهم حتى استقرار حالتهم الصحية [٣]، فالعناية تُشير إذاً إلى شدة الاهتمام بالشيء وطلبه [٤].

التسامح: مفردة سمح في اللغة تُشير إلى السهولة والجود، وذلك أن "السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة، يقال: سمح له بالشيء، ورجل سمح، أي جواد" [٥].

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٠٤/١٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٣١٤/٣.

(٢) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، ٦٥٤.

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مختار، أحمد، ١٥٦٧/٢.

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ٢٨٨/١.

(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٩٩/٣.

والسماحة منافاة الضيق والشدة[١]، وتُشير كذلك إلى انتفاء وجود عقد في الشيء، فيُقال نبتة وعود سمح؛ أي لا عقدة فيه[٢]، وسمح وسار سيراً ليناً سهلاً، وتسامحوا تساهلوا [٣].

وورد بأن «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»[٤]، وهي "التي لا حرج فيها، ولا تضييق فيها على الناس، وهي ملة الإسلام" [٥]، إذاً تُشير مفردة التسامح إلى الأخذ بالليونة والسهولة ومجانبة التضييق والتشدد، وفق ما جاء به الشرع المطهر.

التعايش: يأتي العيش بمعنى الحياة، ويُراد به الاشتراك فيها، وفي شؤونها، يقال: تعايشوا، وعايشه أي عاش معه وعاشره على الألفة والتعاون بسلام [٦].

وعبارة التعايش السلمي كمصطلح حديث تفاوتت وجهات النظر في مفهومه وتعريفه، وسيأتي في المطلب الأول من المبحث الثاني مزيد إيضاح وبيان لذلك.

وبناء عليه، فإن هذا البحث سيُعنى بدراسة وإبراز اعتناء الإسلام بترسيخ وتعزيز قيم التسامح والتعايش السلمي الإيجابي في أوساط الناس، مع إبراز بعض من الممارسات والتطبيقات العملية لها في العهد النبوي.

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٢/ ٢٨٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/ ٤٩٠. والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ٢٢٥.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم ٤٤٧/١، والقاموس المحيط، الفيروز أبادي ٢٢٥

(٤) صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ١/ ١٦.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ١/ ٢٣٥.

(٦) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٣٢١/٦، والمعجم الوسيط، مصطفى، إبراهيم ٦٣٩/٢.

المطلب الثاني: مفهوم التسامح والتعايش السلمي وأهميتهما

إن الاعتناء ببيان مفاهيم ومعاني ما يُحتاج إلى بيانه من الكلمات والمصطلحات المستخدمة، ومحاولة ضبط ما قد يحدث من لبس بعض المفردات وتشويشها أمر تقتضيه الحكمة، ويتطلبه التناول والسياق العلمي.

فالتسامح والعيش بسلام ضرورة وحاجة يتطلع إلى تحقيقها البشر، وهي لا تعني سلب الحقوق، وانفلات المبادئ، ولا الضعف والتسوية بين المحسن والمسيء؛ وإنما التعارف والتعاون المشترك على إعمار الأرض بالخير والسعادة.

وقد جاء الإسلام بالحنيفية السمحة التي لا تشديد وتضييق فيها على الناس ولا حرج[(١)]، وهو ما كان من منهجه ومسلكه ﷺ، وفي هذا يقول الشاطبي رحمه الله (ت ٧٩٠هـ): "ونهيه عن التشديد شهير في الشريعة، بحيث صار أصلا فيها قطعيا"[(٢)]، فهي دعت إلى كل ما من شأنه تحقيق الخير والنفع للإنسان، وحفظ حقوقه، ومراعاة مصالحه.

فالتسامح في الإسلام قيمة عظمى، ومبدأ يتسم بالرقي والاعتناء والمراعاة لشؤون الدين والدنيا والآخرة؛ ينعم به أتباعه ومخالفيه، جاء به القرآن الكريم، وسنة سيد المرسلين ﷺ، وشهدت سيرته العطرة تطبيقاته وممارساته الإيجابية المتنوعة مع المسلمين وغيرهم، وسيأتي في مباحث هذه الدراسة اللاحقة بيان ذلك وإيضاحه من الناحية النظرية والعملية التطبيقية.

---

(١) انظر: عمدة القاري، العيني ١/ ٢٣٥.

(٢) الموافقات، الشاطبي، ٢/ ٢٢٩.

كما يظهر الاعتناء والاهتمام ببيان هذا المفهوم من خلال ما أوضحته منظمة اليونسكو في إعلانها لمبادئ التسامح عام ١٩٩٥م وتأكيد سعيها لتعزيزه، وأنه ليس مجرد قيمة ومبدأ يُعتز ويُتفاخر به، بل ضرورة نحو السلام وتقدم الأمم وشعوبها، وعزمها على اتخاذ كافة التدابير الإيجابية المعينة على تحقيقه.

وقد جاء في المادة الأولى من هذا الإعلان الإشارة إلى معنى ومفهوم التسامح، ومن ذلك ما يلي:

"إن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ... وهو الفضيلة التي تيسر قيام السلام ... التسامح لا يعني المساومة أو التنازل أو التساهل، بل التسامح هو قبل كل شيء اتخاذ موقف إيجابي فيه إقرار بحق الآخرين ... والتسامح ممارسة ينبغي أن يأخذ بها الأفراد والجماعات والدول ... ولا تتعارض ممارسة التسامح مع احترام حقوق الإنسان، ولذلك فهي لا تعني تقبل الظلم الاجتماعي، أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها، بل تعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته ...، والتسامح يعني الإقرار بأن البشر المختلفين بطبعهم في مظهرهم، وأوضاعهم ولغاتهم، وسلوكهم وقيمهم، لهم الحق في العيش بسلام، وعلى أن يطابق مظهرهم مخبرهم، وهي تعني أيضاً أن آراء الفرد لا ينبغي أن تفرض على الغير" [١].

---

(١) https://ar.unesco.org/commemorations/toleranceday موقع اليونسكو (في ٨/ ١٢/ ٢٠٢٢م).

ويُلحظ في هذه المعاني النظرية، والمقرّة في هذا السياق قبل ما يُقارب ٢٦ سنة، بأن الإسلام دعا إلى كل ما هو أكمل وأصلح للبشرية في شؤون دنياها وأُخراها، وطبقها المسلمون فيما بينهم، ومع مخالفيهم منذ مئات السنين؛ فعزز ورسخ بين الناس قيم التسامح والتآلف والتعايش بسلام، فتعلموها نظرياً، ومارسوها عمليًّا.

وأما ما يتعلق بعبارة التعايش السلمي، فهي بهذه الصيغة مصطلح معاصر حديث يتفاوت تناول مفهومه وتحديد معانيه وتعريفه بحسب اتجاهات ووجهات نظر طارحيه.

ومما يُستأنس بإيراده في هذا السياق ما ذُكر من أن مصطلح التعايش السلمي لم يُدرج في قواميس العلاقات الدولية إلا في أواسط الخمسينيات من القرن العشرين، وأن محاولة إعادة استخدامه كان من قبل الاتحاد السوفيتي وقتئذ بعد الحرب العالمية الثانية [١].

وعموماً يُشير التعايش السلمي إلى اتفاق طرفين أو أكثر على تنظيم وسائل العيش في الحياة، وفق قاعدة يتم تحديدها بينهم، وتمهيد السبل المؤدية إليها [٢].

وذلك كون البشر أفراداً وشعوباً ودولاً لا يعيشون بمنأى منعزلين عن الآخرين، بل تتم بينهم عمليات تواصلية وتبادلية متنوعة؛ تهدف إلى التعاون

---

(١) انظر: مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة، منذر، محمد، ١٨٩، والإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن ٢١، التويجري، ١٦.

(٢) انظر: الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن ٢١، التويجري، ١٦.

والتقارب والتآلف؛ وتحقيق ما عمّ نفعه من المصالح والإنجازات المشتركة، وروم عيش يتسم بجودة الحياة وإيجابياتها، ومعالجة وتخفيض ما يخالف ذلك ويضاده.

المطلب الثالث: توافق قيم التسامح والتعايش السلمي مع القوة والحزم المشروع

لا يخفى بأن التسامح والتعايش السلمي مما حث عليه الإسلام، ودعا إليه؛ إذ إن تعزيز ذلك وترسيخه في حياة الناس من المسلمين وغيرهم، والسعي لجعله واقعاً معاشاً أمر مطلوب ومرغب فيه، بل وتشتد الحاجة إليه عند ظهور مسببات ضعفه ومؤديات اضمحلاله وزواله.

كما أن فيهما دعوة عملية تطبيقية، لا سيما مع غير المسلمين؛ إعطاء لحقوقهم، وإظهاراً لمحاسن الإسلام، وما فيه من خير للعالمين، وإبرازاً لما يدعو إليه من مكارم الأخلاق وفضائلها، وأن ذلك لا يتعارض مع استخدامات الحزم في مواطنه المعتبرة من ناحية، ولا مع الموالاة المنهي عنها شرعاً من ناحية أخرى، وبيانه بإيجاز من خلال المحورين التاليين:

المحور الأول: بشيء من الاطلاع على ما جاء في القرآن الكريم، والسيرة النبوية العطرة، وما فيها من تطبيقات عملية يُلحظ كيف أن الحزم والقوة المشروعة تعزز وتحمي ما يتضمنه التسامح والتعايش من مظاهر الإحسان والرحمة والتعاون والتوافق المشترك بين البشر.

وبأن ذلك الإحسان، وتلك الرأفة المتعامل بها تُسهم في ضبط استخدام القوة وحدود مسارها، وتباعدها عن مثيرات ومؤديات الشدة والقسوة غير المبررة شرعاً.

فاستخدام القوة لا يعني الظلم والتجاوز، كما أن التسامح وحسن التعايش لا يعني مجانبة العدل أو الإخلال به، ولا التسوية بين المحسن والمسيء، فالتفاوت

في حياة البشر حاصل وقائم بين العالم والجاهل، والمحسن والمسيء [1]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ﴾ [غافر: ٥٨].

وقد بيّن العلماء أن إظهار القوة والحزم في مواطنه، وبما تقتضيه المصلحة والحكمة جزء من منهجه وسيرته ﷺ، وفي مساق الانتقال المبرر من اللطف والتسامح إلى القوة والحزم على سبيل المثال ما أورده البخاري رحمه الله (ت ٢٥٦هـ) في صحيحه باب "ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله"، وآخر بعنوان "الحذر من الغضب" [2].

وأدرج فيهما عدداً من الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة ذات الصلة بهذا الجانب، وأشاروا إلى أن المقصود بمجانبة الغضب هو في معاني دنياه ومعاشه ومعاملته، وأما فيما يعود إلى القيام بالحق وما تقتضيه المصلحة المشروعة، فالغضب فيه قد يكون واجباً، وقد يكون مندوباً [3].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢٧/ ٥٢٦، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٥٦٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب ٨/ ٢٧ و ٢٨.

(٣) كالحزم والإنكار المشروع على الشر والفساد، ومندوباً كبعض صور التعامل في مواطن الخطأ، نحو غضبه ﷺ لما شُكي إليه إطالة معاذ الصلاة، ولما سُئل عن ضالة الإبل، وغيرها، انظر: على سبيل المثال: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية ٢١٨/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٣١/٢، شرح السنة، البغوي١٣/٢١٣ – ٢١٤، ومفاتيح الغيب، الرازي ١٩٣/٢٢، وتهذيب الأخلاق والأعراق، ابن مسكويه، ٣٠، وفتح الباري، ابن حجر ٥١٨/١٠، ومظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد ﷺ، محاضرات: آدم، سارة، ١٠٩ و١١٩ وما بعدهما.

المحور الثاني: كما تطرق العلماء إلى أن حُسن التعامل مع غير المسلمين، وما يتضمنه من التسامح والرأفة، والتشارك والتعايش الإيجابي لا يتعارض مع ما ورد في الموالاة المنهي عنها شرعاً، ومن ذلك ما أورده ابن جرير رحمه الله (ت ٣١٠هـ) عند تفسيره لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة: ٨]، بأن "أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم" (١).

ومن ذلك توجيه الرسول ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وذلك بقولها: "قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ»" (٢)، فأمرها ﷺ بحسن التواصل، وبالقبول والإكرام (٣).

كما وضّح العلماء بالتفصيل الفرق بين حُسن التواصل والتعامل مع غير المسلمين والرأفة بهم، وبرهم والإحسان إليه، وفرقه عن الموالاة المنهي عنها، ومن ذلك ما أورده القرافي رحمه الله (ت ٦٨٤هـ) في كتابه الفروق من أن "الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التودد والموالاة منهي عنهما، والبابان ملتبسان،

---

(١) جامع البيان، الطبري ٢٢٣/٢٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، ١٦٤/٣ رقم ٢٦٢٠.

(٣) انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، ١٤٥/١١.

فيحتاجان إلى الفرق ..."، ثم قال في نهاية ذلك: "وبالجملة فبرهم والإحسان إليهم مأمور به، وودهم وتوليهم منهي عنه، فهما قاعدتان إحداهما محرمة والأخرى مأمور بها" (١).

وفي بيان الفرق بين مؤديات ومسببات الألفة والمودة، وتعزيزها في حياة الناس وطريقة تواصلهم، وبين مضعفات ذلك ومنغصاته والتحذير منها، تناول عدد من العلماء كابن بطال (ت ٤٤٩هـ) وابن حجر (ت ٨٥٢هـ) والعيني (ت ٨٥٥هـ) رحمهم الله تعالى (٢)، إيضاح الفرق بين المدارة وإيجابياتها، والمداهنة وسلبياتها؛ وذلك أثناء شرحهم لبابي الانبساط والمدارة مع الناس في كتاب الأدب من صحيح البخاري رحمه الله (٣).

ولعل في ما تم ذكره وإيراده كفاية في إيضاح المقصود، وسيتم في المبحث التالي الإشارة بإيجاز إلى مؤكدات ترسيخ وتعزيز قيم التسامح والتعايش السلمي في الإسلام، كالحث على التآلف ومجانبة الصراع والتصادم، ومراعاة جبلة الإنسان وتكريمه، ووفرة الصفات المعززة لهذا الجانب وتنوعها.

---

(١) الفروق، القرافي، ١٤/٣ –16 ، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٢٣٤/٥ و ٥٢٨/١٠، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، ٤٨/٣.

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ٩/ ٣٠٦، وفتح الباري، ابن حجر ١٠/ ٥٢٨، وعمدة القارئ، العيني ٢٢/ ١٧١.

(٣) انظر: صحيح البخاري ٨/ ٣١.

المبحث الثاني: مؤكدات تعزيز التسامح والتعايش السلمي في الإسلام

المطلب الأول: الحث على التعارف والتآلف لا على الإكراه والتصادم

إن الاعتناء بالخطاب الموجه لشرائح المجتمع على اختلاف أصنافهم وأديانهم من الأهمية بمكان، ويتأكد ذلك في كل ما من شأنه ضبط وتيسير أمور الحياة، وتحقيق أمنها وسلامها.

وقد سعت البشرية على مر التاريخ إلى تحسين أواصر علاقتها المحلية والإقليمية والدولية، وتعزيز فرص التعارف والتعاون والعيش بسلام، ومعالجة ما قد ينجم من أجواء المغالبة والمشاحنة والصراع، فأُنشئت في سبيل ذلك الاتفاقيات والمعاهدات المتنوعة، وأُجريت الدراسات، وأُقيمت المؤتمرات.

ومع ذلك لا تخلو فترات التاريخ وحقبه من خوادش السلام وخوارمه؛ وتغذية وتسمين بوادر الصدام، والمبالغة الموهومة في تعارض المصالح والثقافات وتنازعها، عوضاً عن تعارفها وتألفها.

وفي هذا السياق أُشير بإيجاز إلى شيء من ملامح ذلك في عصرنا الراهن والمتمثل في إحياء وإثارة رؤى ونظريات سعّرت وأججت مؤديات الكره والتشاحن والعراك، نحو ما عُرف بصراع الحضارات، وقد قيل بأن المحاضرات التي ألقاها المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي (Arnold Toynbee) عن الصراع بين

الحضارات تُعدّ المرجعية لما بعدها، والتي كانت في عام ١٩٤٧م [١]؛ أي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وإنشاء هيئة الأمم المتحدة بعامين.

وتتابع المنادون بذلك، ففي عام ١٩٨٩م كتب فرانسيس فوكوياما (Francis Fukuyama) مقالة حول نهاية التاريخ، وفي عام ١٩٩٢م صدر كتابه بذات العنوان، حيث تطرق لعلاقة العالم الإسلامي بالغرب، وأن دور الحضارات الأخرى قد انتهى بتربع الغرب على قمة الهرم الحضاري [٢].

وفي عام ١٩٩٣م نشر صامويل هنتنجون (Samuel Huntington) مقاله عن الصراع الحضاري، ثم كتابه في عام ١٩٩٦م بعنوان: صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، وخلال فترة الثلاث سنوات التي بين المقال والكتاب أُحدثت بسببها ضجة كبيرة على مستوى العالم، وقد أشار المؤلف إلى هذا في مقدمة كتابه حين قال: "وقد تنوعت مشاعر الناس، وانطباعاتهم بين الفضول والغضب، والخوف والحيرة بسبب الفكرة التي عبرت عنها"[٣].

وفي الجانب المقابل، وأمام مثل هذه النظريات المؤكدة لبواعث التعصب والصراع، والمزعزعة للتعايش السلمي من ناحية، والمخالفة للمنهج العلمي المتزن في تقويم الثقافات الأخرى، والإسلامية منها بوجه خاص من ناحية أخرى،

---

(١) انظر: من أطروحة صدام الحضارات في فلسفة صموئيل هنتنجتون إلى حوارها وتحالفها، بوالسكك، ٥ و٣٣٩.

(٢) انظر: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فوكوياما، فرانسيس.

(٣) صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، هنتنتون، صامويل، ٢٩.

تعالت أصوات لرفض تلك الاطروحات، وتناولتها بالدراسة والنقد، وإيضاح خللها.

وأكتفي هنا بالإشارة إلى ما قام به أستاذ العلاقات الدولية بجامعة (فرانكفورت) بألمانيا هارالد موللر (Harald Muller) من إصدار كتاب يدعو فيه إلى التعايش، ويُعارض فكرة (صامويل هنتنجتون) صدام الحضارات، وينقدها [1].

وبشيء من التأمل في الخطاب القرآني الكريم، وما صح من السنة النبوية، وتطبيقاتها في سيرته ﷺ العطرة؛ يُشاهد بجلاء كثرة توافر مؤكدات الاعتناء والاهتمام بانتظام شؤون البشر ومعززاتها، وفق تشريعات وقيم ومبادئ سامية؛ تُرسخ سلامة وحسن بناء علاقاتهم وتعاملاتهم المختلفة؛ بما يحقق لهم التعارف والتآلف، ويباعدهم عن مسببات التنافر والتصادم، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

(١) انظر: تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، موللر هارالد، ونظرية صراع الحضارات والعلاقات الدولية: رؤية نقدية، العتيبي، سعود محمد، ٢٠٧ – ٢٢٦.

ففي الآية الكريمة دلالة على استواء الناس في الأصل، وأن يعرف بعضهم بعضاً، وعلى مؤدى التمايز الإيجابي فيما بينهم، لا التفاخر السلبي والتطاول [١].

إذ كان فاشياً في أوساط الناس قبل مجيء دعوة الإسلام إعجاب كل بما لديه وتفضيله، وتطاوله على ما لدى الآخرين وإقصائه وتحقيره؛ فكان ذلك مدعاة لتغذية النعرات، والإحن والتقاتل، وما يتفرع عنها من مهيجات النفوس ومثيرات الفتن، كالسخرية بأنواعها، والظن والتجسس والغيبة الوارد ذكرها في الآيات السابقة، فجاءت هذه الآية الكريمة للحث على التعارف، وإدراك مواطن التفاضل، والتأدب بآداب الشرع المطهر [٢].

ويتأكد عند التعارف إدراك واستحضار ما بين الناس من اختلافات في أديانهم ورغباتهم وأفهامهم، وأن التواصل والتعامل الإيجابي لا يكون بالإكراه، وإنما بالدعوة إلى دين الله بالحسنى، وقد جاء الخطاب القرآني الكريم ببيان ذلك وتعزيزه في النفوس، ففي مجال الاختلاف على سبيل المثال قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٣٨٥.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/ ٢٥٨

والمعنى أي: "ولا يزال الخُلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم"[١]، وفي هذا الصدد قال ابن جرير رحمه الله (ت ٣١٠هـ): "وأولى الأقوال في تأويل ذلك، بالصواب قولُ من قال: معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك" [٢].

وإن مما يُؤكد اعتناء الخطاب القرآني بترسيخ قيم التسامح والتعايش بين البشر، ومراعاة أحوالهم وشؤونهم، ما جاء في بيان أسلوب الدعوة إلى هذا الدين العظيم، وإبلاغ رسالته للعالمين بالحكمة، والكلمة الهادئة الحسنة، وعدم حمل الناس وإكراههم على اعتناقه، ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فيُلاحظ هنا ما فيها من لطف ولين وحسن الخطاب [٣]، فالتوجيه الرباني الكريم في هذه الآية بأن "يدعو إلى الله وشرعه بتلطف، وهو أن يسمع المدعو حكمه، وهو الكلام الصواب القريب؛ الواقع في النفس أجمل موقع، والموعظة الحسنة؛ التخويف والترجية والتلطف بالإنسان؛ بأن يحله ويبسطه ويجعله بصورة

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٦١.

(٢) جامع البيان ١٥/ ٥٣٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٦١٣.

من يقبل الفضائل، ونحو هذا، فهذه حالة من يُدعى، وحالة من يجادل دون مخاشنة" (١).

وفي تأكيد ذلك، وبيانه من الناحية العملية التطبيقية قال الشاطبي رحمه الله (ت ٧٩٠هـ): "فكان هذا الوجه من التلطف في الدعاء إلى الله نوعاً من الحكمة التي كان ﷺ يدعو بها، وأيضاً فإن ما ذكر في القرآن من مكارم الأخلاق كان خلق رسول الله ﷺ فصدّق الفعل القول بالنسبة إليهم، فكان ذلك مما دعا إلى اتّباعه والتأسي به" (٢).

ويُضاف إلى ذلك أيضاً تعدد وتنوع الخطاب القرآني الكريم؛ الموضّح والضابط لمنهج وطريقة دعوة الناس إلى الإسلام دون إلزام وإكراه، وذلك بتأكيد الاقتصار على جودة البلاغ، وترك شأنهم وحسابهم إلى خالقهم تبارك وتعالى، ومن ذلك على سبيل المثال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وفي البلاغ ما جاء في قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وكقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

---

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/ ٤٣٢، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠/ ٢٠٠.

(٢) الموافقات، الشاطبي ٥/ ٢٦٣.

وفي آيات أخرى ورد بأن يكون هذا البلاغ مُبيناً، نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤].

كما اعتنى الإسلام بالإنسان وتكريمه، والإشارة إلى ما جُبل عليه؛ بما ينبه الناس ويلفت أنظارهم إلى ما حباهم الله به من مكانة ومنزلة تتطلب الحفاظ عليها، والتعاون من خلالها، وتجاوز ومعالجة ما قد يُضعفها ويُعيقها، وهو ما سيتم تناوله في المطلب التالي.

المطلب الثاني: مراعاة جِبلّة الإنسان وتكريمه والعناية بمنزلته وحفظ حقوقه

إن المطلع على ما يتعلق بالإنسان وطبيعته وما جُبل عليه، يلحظ ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة من بيان مزاياه وما حباه الله به من التكريم والنِعم التي هيأته ومكنته من عمارة الأرض والعيش فيها، وبناء العلاقات المختلفة، وتشييد الحضارات المتنوعة، وكذلك ما قد يعتريه من أوجه النقص والخطأ والتجاوز.

وسيتم تناول هذا المطلب بإيجاز على ضوء المحورين التاليين:

المحور الأول: إن افتراض الكمال في العلاقات والتعاملات الإنسانية غير وارد، فالمرء معرض لاحتمالية الوقوع في الخطأ والتجاوز، وقد بيّن الشرع المطهر ذلك ووضحه؛ ليدرك الإنسان شيئا من طبيعته، فيُحسن قيادتها وضبطها، ومعالجة ما قد يصدر منها من الطيش والعجلة والسفه، إلى التروي والتعقّل وقصد معالي الأمور وفضائلها.

ومن ذلك على سبيل المثال قوله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨]، فهنا ناسبه "التخفيف؛ لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهمته" (١)، وقيل في معناه "يستميله هواه وشهوته، ويستطيشه خوفه وحزنه" (٢)، وفي الاستعجال قوله تعالى: ﴿خُلِقَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٦٧.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ٣/ ٢٩١.

ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وكقوله سبحانه: ﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾ [الإسراء: ١١]، أي في أموره وشؤونه [١].

فالآية تُشير إلى جنس الإنسان، وأن من طبعه الاستعجال، وعدم التأني والتروي [٢]، والجهل والظلم وغير ذلك، وبالتالي فاحتمال الوقوع في الزلة والخطأ وارد، وأن "من سوى الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – يجوز عليهم الصغائر والكبائر، مع إمكان أن يكون ذلك الشخص صديقا أو شهيدا أو صالحا" [٣].

مما يُؤكد لجوء الإنسان إلى العلم النافع والعمل الصالح، وتحري الحكمة في أموره، وتعامله مع الآخرين؛ حيث منّ الله عليه بالتكريم، ورفعة الشأن، وهو ما سيتناوله المحور التالي.

المحور الثاني: ورد اشتراك بني آدم في ميزة التكريم، والمكانة، وتفضيلهم على كثير من المخلوقات، حيث قال عز وجل: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٣٤٢.

(٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٤/ ١٥٠، والمحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٨٢.

(٣) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، ٨٤.

ومن ذلك ما حباه به من القدرة على التواصل والتعاون وتطوير أساليب الحياة وبنائها، فهي "مزية خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية، والتكريم: جعله كريماً، أي نفيساً ... بله الخلو عن المعارف والصنائع وعن قبول التطور في أساليب حياته وحضارته" (١).

وقد قيل بأنه: "كرّمه الله بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم" (٢).

ولابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١هـ) في إبراز صور وأوجه هذا التكريم لبني الإنسان تعليق لطيف، ومنه قوله: "فسبحان من ألبسه خلع الكرامة كلها من العقل، والعلم والبيان والنطق والشكل، والصورة الحسنة والهيئة الشريفة والقد المعتدل، واكتساب العلوم بالاستدلال والفكر، واقتناص الأخلاق الشريفة الفاضلة" (٣)، وقبله ما أورده الراغب رحمه الله بقوله: "الإنسان وإن كان هو بكونه إنسانًا أفضل موجود، فذلك بشرط أن يراعي ما به صار إنسانًا، وهو العلم الحق، والعمل المحكم، فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يُفضل" (٤).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٥/ ١٦٥.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٢/ ٦٨٠، وانظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٢١/ ٣٧٢.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، ١/ ٢٦٣.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ٧٩.

وبمثل هذا الفضل والعطاء من الخالق الكريم، وهذه المِنن والمزايا امتلك الإنسان فرص التأثر والتأثير؛ وأدوات التقدم في شؤون الحياة ومجالاتها المتنوعة، فدُعي للتعارف والتعاون البنّاء، لا للتناكر والصراع والتصادم؛ تعارف وتواصل "يُمكن أن يشمل كل المعاني التي تدل على التعاون والتساكن والتعايش، ويُمكن أيضاً أن يستوعب التعارف قِيم الحوار والجدل بالتي هي أحسن، والاحترام المتبادل" [(١)]؛ بما يعود عليه، وعلى غيره بالأمان وخير الدارين.

وإن من مؤكدات هذه المكانة والمنزلة، وتعزيز قيم التسامح والتعايش السلمي الآمن في المجتمع اعتناء الإسلام بإيراد وترسيخ الصفات والسلوكيات الموصلة إليها، وتنوعها وكثرة تكرارها في سياقات مختلفة، وهو ما سيتم تناوله والتطرق إليه بإيجاز في المطلب التالي.

(١) الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن ٢١، التويجري، ص ٢٢.

المطلب الثالث: وفرة الصفات المعززة للتسامح والتعايش السلمي وتنوعها

إن الاتصاف بالتسامح، وحُسن التعامل والتواصل مع الآخرين من متطلبات التعارف والتآلف وجودة الحياة والعيش فيها بأمن وسلام؛ وغير خاف بأن مقومات وجذور ذلك وثماره عبارة عن مجموعة من الصفات الخُلقية السامية، وما يترتب عليها من الممارسات والسلوكيات الإيجابية؛ التي تندرج في الإسلام تحت مصطلح حُسن الخُلق بسعته وتنوعه وشموله [١].

وإن اعتناء الخطاب القرآني والنبوي بذلك ظاهر بيّن؛ حيث وفرة وتنوع الآيات، والأحاديث في مدح حسنه وتشجيعه، وذم سيئه والتنفير منه[٢].

كما هو ظاهر أيضاً في اعتناء علماء الإسلام به تصنيفاً، وتعليقاً، وبمحاولة تحديده وبيانه، ومن ذلك على سبيل المثال ما أشار إليه الرازي رحمه الله (ت ٦٠٦هـ) من أنه "يدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والغضب، والتشديد في المعاملات، والتحبب إلى الناس بالقول والفعل، وترك التقاطع والهجران، والتساهل في العقود كالبيع وغيره" [٣]، وابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ) بقوله: "ويدخل في حسن الخلق الإحسان إلى الخلق، والامتناع من إيذائهم، وذلك يحتاج إلى الصبر، والإحسان إلى الخلق يكون عن الرحمة" [٤].

---

(١) انظر: التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، الحصين، ٢٤، ٣٢.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢/ ٧٠.

(٣) مفاتيح الغيب ٣٠/ ٦٠١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٨/ ٢٢٨.

(٤) مجموع الفتاوى ١٥/ ٣٨٨، وانظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٢/ ٢٩٤.

وما نقله النووي رحمه الله (ت ٦٧٦هـ) من أن "حُسن الخلق بذل المعروف، وكف الأذى وطلاقة الوجه ... هو مخالطة الناس بالجميل والبشر، والتودد لهم، والإشفاق عليهم، واحتمالهم والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظ والغضب والمؤاخذة" [١].

فيُلاحظ ما في ذلك من منظومة الصفات والسمات المهيئة للممارسة والتطبيق، وقد حوى الكتاب العزيز الجم الكثير من صفات مكارم الأخلاق وعظيمها، ومن السمات المعززة للتسامح والتعايش السلمي، والمرسخة لها في نفوس الناس وسلوكياتهم، وتهيئتهم للتخلق والاتصاف بها وتطبيقها؛ كالرأفة والرحمة، والعفو والمغفرة والصفح والصبر، والكرم والإحسان، والأمانة والصدق والعدل، وغيرها مما تكرر ذكره وإيراده في الخطاب القرآني بصيغ وسياقات متنوعة [٢].

وفي الرسم البياني التالي شيء من الإيضاح والإبراز لبعض تلك السمات، وكثرة تكررها ووردها في الكتاب العزيز [٣]، وملاحظة ما يتعلق منها بتهذيب النفس، وتدريبها على حُسن الخُلق، ولين الجانب والتسامح من ناحية، وعلى

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥/ ٧٨ – ٧٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١٠/ ٤٥٦.

(٢) انظر: على سبيل المثال السور التالية: البقرة ٨٣، ١٤٣، ١٨٥/ ال عمرن ١٣٤، ١٨٦/ النساء ٢٨/ المائدة ٢، ٦، ٨/ الأنعام ٥٤/ التوبة ١٢٨/ النحل ١٢٥/ الإسراء ٥٣/ الأنبياء ١٠٧/ المؤمنون ٩٦/ الفرقان ٦٣/ العنكبوت ٤٦/ لقمان ١٧ – ١٩/ الزمر ٥٣/ فصلت ٣٣ – ٣٦/ الشورى ٤٠، ٤٣/ الجاثية ١٤/ الحجرات ١١ – ١٣/ التغابن ١٤/ المزمل ١٠/ البلد ١٧.

(٣) تكرار أعداد الصفات وجذورها الواردة في الرسم البياني من معجم كلمات القرآن الكريم، خضر، محمد زكي.

ترسيخ وتعزيز قيم التواصل الإيجابي الفعّال بين الناس؛ بما ينعكس على جودة تعايشهم وتعاملهم من ناحية أخرى.

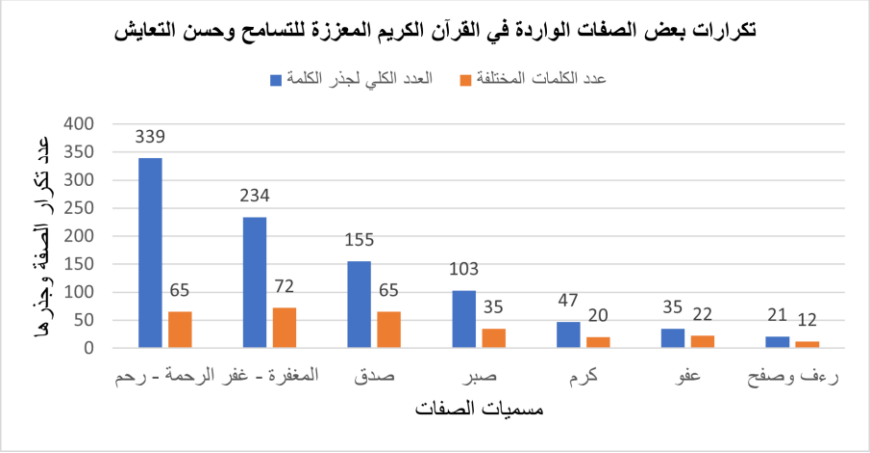

وبإلقاء نظرة وقراءة سريعة لأرقام هذه الصفات المنتقاة الواردة في القرآن الكريم وتكراراتها، يُلحظ بأنها تربو على أكثر من تسعمائة، حيث بلغت صفة الرحمة وما تفرع من جذرها ما يُقارب (٣٣٩) مرة، وفي المرتبة الثانية جذر مفردة غفر، وما تفرع منها كالمغفرة وغيرها بعدد (٢٣٤)، وتلاهما الصدق، والتي تكررت (١٥٥) مرة، ثم الصبر في (١٠٣) موضعاً، فالكرم (٤٧) مرة، وبعده بفارق يسير جاءت صفة العفو في (٣٥) موطناً، وأخيراً الرأفة والصفح (٢١) مرة.

وفي تكرار هذه الصفات مجتمعة قرابة (٩٣٤) مرة كمثال، ما يُشير إلى اعتناء الخطاب القرآني الكريم بها، وبيان أهميتها، والحاجة الماسة إلى ظهورها وترسيخها في لغة التخاطب والتواصل والتعامل مع الناس على اختلاف أصنافهم عموماً، وعند دعوتهم بالحسنى خصوصاً؛ بما يُرجى أن يُعزز بينهم قيم

التسامح والتالف المؤدي إلى ما يدعو إليه هذا الدين العظيم من تحقق التعارف والتعاون والتعايش الإيجابي السالم بين بني البشر، ويُباعدهم عن مضادات ذلك ومؤيداته من صور المخاشنة والصراع والتصادم الممقوت.

وفي المبحث التالي سيتم استعراض نماذج من العهد النبوي تُشير إلى العديد من تلك الصفات، وإلى بعض تطبيقات ترسيخ قيم التسامح والتعايش بين المسلمين أنفسهم ومع غيرهم؛ ممن خالطهم وتعايش معهم، وتُبرز شيئاً مما تحمله الحنيفية السمحة من قيم تُعنى بالإنسان وترعى مصالحه الدنيوية والأخروية.

المبحث الثالث: تطبيقات قيم التسامح والتعايش السلمي في العهد النبوي

المطلب الأول: تطبيق ترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي مع المسلمين

إن الناظر والمتأمل في السيرة النبوية العطرة يجدها حافلة بالكثير من التطبيقات والممارسات العملية في شتى شؤون الحياة، ومن ذلك ما يتعلق بترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي بين المسلمين أنفسهم، ومع غيرهم.

وفي هذا المبحث بمطلبيه سيكون التطرق بإيجاز لعدد من المواقف والأحداث التي رُوعي في انتقائها واختيارها تنوع أفرادها وموضوعاتها لا زمن حدوثها، وتسلسل تاريخ وقوعها، ففي هذا المطلب سيتم استعراض بعض من أوجه حُسن التعامل، والاحترام المتبادل، وحفظ المنزلة والمكانة في مواقف الحياة المختلفة؛ بما يُبرز شيئاً من صور ومظاهر ممارسات وثمرات التسامح والتعايش، وترسيخها بين أفراد المجتمع المسلم على اختلاف أعمارهم وأصنفاهم، وطباعهم وثقافاتهم.

فعلى سبيل المثال في جانب تعزيز الصفات والسمات الإيجابية لدى صغار السن، والقائم بالخدمة، وترسيخ قيم التسامح وجودة التعايش لديهم بالممارسة والتطبيق العملي، يروي أنس بن مالك رضي الله عنه تأثره بما حصل له مع رسول الله ﷺ في صِغره، وأثناء السنوات العشر من خدمته.

وذلك حين قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ

ﷺ فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ» (١).

ففي هذا الحديث يظهر كمال خلقه ﷺ، ورعايته للضعفاء، واستمالة قلوب الصغار، وإدخال السرور إليهم وملاطفتهم، وتعزيز السماحة ومكارم الأخلاق لديهم، وما في لطف تعامله، وطلاقة وجهه الشريف ﷺ في مثل هذه المواقف من أسوة وقدوة لغيره (٢).

مع الإشارة إلى أن أجواء مثل هذا التعامل لم يكن حدثاً عابراً، وإنما نهجاً وتواصلاً مستمراً؛ تُعزّز وتُرسّخ من خلاله أطايب الصفات والقيّم، فقد بيّن أنس رضي الله عنه ذلك بقوله: "خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟"(٣).

وفي رواية أخرى أوضح فيها خدمته ﷺ في حِله وترحاله، فقال: «فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟» (٤).

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ١٨٠٥/٤ رقم ٢٣١٠.

(٢) انظر: شرح المشكاة، الطيبي ١٠/ ٣١٤٠، والكواكب الدراري، الكرماني ٥/٢٢، ومعالم السنن شرح سنن أبي داود، الخطابي، ١٢٩/٤، وشرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٠٤/٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ١٨٠٤/٤ رقم ٢٣٠٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب استخدام اليتيم في السفر...، ١١/٤ رقم ٢٧٦٨.

ولا يخفى التأثير الإيجابي لمثل هذه التطبيقات على سلوكيات الناس، وتهذيب نفوسهم، وتدريبها عمليًّا على اكتساب الخِلال الراقية قبولاً وممارسة؛ وقد شهد الصحابي الجليل رضي الله عنه بذلك، وبيّن لنا ما حدث له بتفاصيله في صغره، وخلال سنين عمره؛ وما يُشير فيها إلى جودة التعايش والتخالط، وشهادته المصحوبة بالأمثلة والنماذج العملية على حسن خُلقه ﷺ وسماحة نفسه الشريفة.

وبنحو هذا النهج القويم يتم التواصل مع من يقع في بعض الأخطاء المحتملة ومعالجتها؛ بتعليمه وتثقيفه بأسلوب يظهر من خلاله التسامح ولين الجانب، واحترام الإنسان وتقديره لا تجهيله ومجافاته، ومن ذلك ما كان مع معاوية بن الحكم رضي الله عنه أثناء أدائه للصلاة، ونقله لتفاصيل ما حدث، وتأثره بأسلوب تعامله ﷺ معه.

وذلك حين قال: «بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» (١).

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ...، باب تحريم الكلام في الصلاة... ١/٣٨١ رقم: ٥٣٧.

وفي مثل هذا الأسلوب الراقي المتسم بلطف التواصل مع المخطئ ومراعاته، يقول النووي رحمه الله (٦٧٦هـ): "فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه، واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه" (١).

وبنحوه ما تم من حُسن معالجة موقف بول الأعرابي في المسجد وتعليمه، فقد خاطبه ﷺ برأفة وحُسن خلق، وبما يحفظ له مكانته الإنسانية واحترامه، فلم يوبخه ويؤنبه جرّاء ما حصل منه في بيت من بيوت الله عز وجل، بل حث على التيسير في التعامل مع الناس، ومجانبة التضييق والتعسير (٢).

وقد أثر ذلك الموقف في الأعرابي وفدى رسول الله ﷺ بأبيه وأمه (٣).

وشبيهاً بما سبق، معالجة شكوى صاحب العمل من إطالة الإمام للصلاة (٤)، وإيضاحه لتعبه وضعف قدرته على تحمل إطالتها، وتوجيهه ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه بمراعاة أحوال الناس وظروفهم، وعدم التنفير والصد عن الدين الحنيف ومحاسنه (٥).

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٠/٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد ٥٤/١ رقم ٢٢٠، وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، ٢٣٦/١ رقم ٢٨٥.

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٢٧/١، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١٠٩/٢.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول ١٤٢/١ رقم: ٧٠٥.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٨٢/٤، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٨١/٢.

كما كان من صور ترسيخ قيم التسامح وجودة التعايش عمليًّا بعض المواقف التي خالف أصحابها حدود الآداب المرعية، وتجاوزها إلى الإيذاء والإغلاظ، كالتي رواها انس بن مالك رضي الله عنه حين قال: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ﷺ فضَحِكَ ثُمَّ «أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ» (١).

ففي هذا الموقف دلالة واضحة على ما جبل عليه ﷺ من شريف الأخلاق؛ وليتأسى به من بعده في التحلي بمثل هذه الصفات والفِعال (٢).

فيُلاحظ من خلال هذه النماذج والمواقف اليسيرة المتنوعة، تطبيقه ﷺ العملي لمكارم الأخلاق وشريفها، وتسامحه وجمال عِشرته مع الصغير والخادم، والجاهل والعالم، والمخطئ في صلاته ومسجده، وعلى من أذاه وجفاه بثقيل القول وغليظه.

حيث كانت السماحة والرأفة والرفق، ولين الجانب في شأنه كله ﷺ، وأنه كان يوجه أصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، وأتباعه من بعده بذلك، وبتأكيد التيسير وترك كل عسير (٣)؛ بما يُرسخ قيّم التسامح والتعايش الإيجابي بين المسلمين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم ٩٤/٤ رقم: ٣١٤٩، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظه ٧٣٠/٢ رقم: ١٠٥٧.

(٢) انظر: عمدة القاري، العيني ٣١٢/٢١، وفتح الباري، ابن حجر ٥٠٦/١٠.

(٣) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي، السندي، ١/ ٤٩.

وأخيراً من الجوانب التي أرى مناسبة الإشارة إليها في سياق إبراز مظاهر التطبيق العملي لترسيخ قيم التسامح ولين الجانب، وتعزيز أجواء التعايش السلمي بين المسلمين، والحِفاظ عليها مما يشوبها؛ ما قد يصدر في مواطن الخوف والقلق، وأوقات التنازع والتزاحم، ولبس الفهم والقصد؛ من تصرفات تتطلب جودة المعالجة، واستحضار ثمارها ومالاتها.

ومن ذلك ما حدث يوم الفتح مع الأنصار، ومن بعض شبابهم يوم حنين، وما وجدوه في أنفسهم، وقالوه بألسنتهم، وتداوله فيما بينهم، حيث جاء أن الأنصار رضي الله عنهم يوم الفتح قال "بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ، وَرَأْفَةٌ بِعَشِيرَتِهِ...، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: " قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرْيَتِهِ؟ " قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَاكَ، قَالَ: «كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ» فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ: وَاللهِ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضِّنَّ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ، وَيَعْذِرَانِكُمْ» (١).

وبعد فترة قصيرة عُولجت مقولة أخرى لبعض شباب الأنصار رضي الله عنهم؛ وذلك جرّاء ما رأوه من توزيع العطايا على رجال من قريش وتركهم (٢).

ففي مثل هذه المواقف الحياتية المتوقع حدوث ما يُشابهها بين فينة وأخرى، ما يُشير إلى ما قد يعتري الإنسان من نوازع ورغبات تتطلب نوعاً من المناقشة الهادفة، وحُسن المعالجة، وحسم مادة التفريق والخلاف؛ بما يُهيئ يُسر تقبل

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة ٣/١٤٠٥ جزء من رقم ١٧٨٠.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ٢/٧٣٣ رقم ١٠٥٩.

النفوس للانتقال الهادئ بها من مؤديات التشاحن والتنافر والتباغض إلى التعاون والتكاتف، وبروز قيّم التقدير والاحترام، وحفظ المكانة، وهو ما حدث مع الأنصار في الموقفين المشار إليهما، حين جمعهم ﷺ؛ للمعالجة، ومناقشة ما قالوه وتناقلوه، وتطيب خواطرهم، وبيان منزلتهم، ومدى قربهم منه ﷺ، فسمحت بذلك نفوسهم وطابت ورضيت [١].

وهكذا فإن ترسيخ قيم التسامح والتعايش في المجتمع، وبين أفراده على اختلاف أصنفاهم نظرياً وعمليًّا يتطلب كما لوحظ في النماذج السابقة الحضور والتواجد الفعلي للتلطف والرفق، إذ "به تسهل الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع ما تشتت، ويأتلف ما تنافر وتبدد، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وهو مؤلف للجماعات، جامع للطاعات، ومنه أخذ أنه ينبغي للعالم إذا رأى من يخل بواجب أو يفعل محرما أن يترفق في إرشاده ويتلطف به" [٢].

وهو ما سيتم ملاحظته أيضاً والإشارة إليه في المطلب التالي المتعلق بنماذج تطبيقات وممارسات التعايش والتعامل مع غير المسلمين.

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٥٢/٨، وعمدة القاري، العيني ٣٠٨/١٧، والإفصاح، ابن هبيرة ٥/ ٣٨.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ٤٦١/٥.

المطلب الثاني: تطبيق ترسيخ قيم التسامح والتعايش السلمي مع غير المسلمين

إن ممارسة حُسن الخلق بمظاهره وصوره المتنوعة في حياة المسلمين وتطبيقه عمليًّا، كان منهجاً بارزاً في بناء وتقوية أواصر علاقات بعضهم ببعض، وكذلك كان بِراً وإحساناً وجمالاً مع غيرهم؛ ممن ساكنهم وخالطهم، وعاش قريباً أو بعيداً من أوطانهم.

وبشيء من التتبع والاستقراء لبعض المواقف والنماذج، وما تضمنته من آليات وأساليب التعامل والتعايش مع غير المسلمين في العهد النبوي، نجد كذلك وفرة التطبيقات والممارسات العملية التي تُبرز أجواء وصور التسامح والتعايش السلمي، وتُؤكد مدى الاعتناء بترسيخها في حياة الناس ومعاشهم: كمراعاة آداب التحاور والتواصل، واحتمال الإيذاء والعفو مع الاقتدار، وحرية معتقد غير المسلم، وعدم إكراهه على قبول الدين واعتناقه، وحُسن الدعوة إليه وإبلاغه.

واحترام أهل الذمة، وصون حقوقهم ومصالحهم، وحفظ غيبتهم إلى غير ذلك من صور التسامح والتعامل الإيجابي؛ التي دعت العديد من العلماء والمفكرين على اختلاف أديانهم وتوجهاتهم إلى تسجيل وتدوين شهاداتهم حيال ذلك، بل قادت الكثير لاتباعه، وإبراز محاسنه وفضائله، والذب عن حياضه،

وقد سبق في المبحث الثاني من هذه الدراسة الإشارة إلى حث الإسلام على التعارف والتالف لا على الإكراه والإجبار والتنازع [١].

وبالنظر في حياة المسلمين وتاريخهم من الناحية العملية التطبيقية فإنه: "لم يُنقل عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من خلفائه، أنه أجبر أحداً من أهل الذمة على الإسلام" [٢].

وفي هذا الصدد يقول ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ): "فلما بعث الله رسوله ﷺ استجاب له ولخلفائه بعده أكثر أهل الأديان طوعاً واختياراً، ولم يكره أحداً قط على الدين، وإنما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله، ولم يكرهه على الدخول في دينه، امتثالا لأمر ربه سبحانه وتعالى" [٣].

ولا يخفى ما رُوي وجاء في بنود وثيقة المدينة المنورة خلال السنة الأولى من الهجرة النبوية وما تضمنته من تنظيم أواصر العلاقات، والحياة الاجتماعية، وما فيها من سماحة ورأفة وعدالة بين كافة الأطراف من المسلمين واليهود وغيرهم [٤].

---

(١) يُنظر المطلب الأول من المبحث الثاني: الحث على التعارف والتآلف لا على الإكراه والتصادم، ص ١٤ – ١٧.

(٢) المغني، ابن قدامة، ١٩/٩.

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ١/ ٢٣٧.

(٤) للاطلاع على الوثيقة انظر: على سبيل المثال: أسس التعايش السلمي في ضوء وثيقة المدينة المنورة، عدلاوي، علي، ومنهج النبي ﷺ في التعامل مع غير المسلمين: وثيقة المدينة المنورة أنموذجاً، يوسف، حسين إسحاق، والتسامح والإخاء الإنساني في وثيقة الرسول ﷺ بالمدينة المنورة: دراسة تاريخية، مرجونة، إبراهيم محمد، والوثيقة النبوية في المدينة المنورة متى كتبت؟ تحقيق تاريخي.

وكذلك ما جاء في استقبال وجهاء وفد نصارى نجران في مسجد المدينة، وما فيه من التسامح، وأسلوب التحاور الحضاري الراقي معهم، واحترام المخالف، وتهيئة سبل العيش الكريم له [١]، وفي الأمثلة والنماذج التالية ما يُشير بإيجاز إلى هذا الجانب ويُوضحه.

فهذا رجل قصد رسول الله ﷺ في مسجده، والتمس العذر في أسلوب تحاوره وتشدده، فما كان منه ﷺ إلا أن حاوره وخاطبه وفق مراده ومبتغاه، وذلك حين قال: «يَا ابْنَ عَبْدِ المطّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَجَبْتُكَ». فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي المسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ فَقَالَ: «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ» [٢].

فما أن انتهى الرجل من تساؤلاته واستفساراته عن الإسلام وشرائعه، إلا وقد حدث أثر وثمرة ذلك اللقاء بإعلان إسلامه، وبيان علو مكانه وتأثيره في قومه [٣]، وذلك حين قال: «آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ» [٤].

وهذا آخر من كِبار قومه كان مُبغضاً لرسول الله ﷺ ودينه وبلده، أُتيحت له فرصة التعرف على شيء من حياة المسلمين، وملاحظة طريقة تعايشهم؛

---

(١) انظر: على سبيل المثال: الحوار والتعايش مع غير المسلمين في العهد النبوي: مرويات وفد نصارى نجران أنموذجاً: دراسة حديثية تحليلية، العودة، طارق بن عودة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم ٢٣/١ رقم ٦٣.

(٣) انظر: الكواكب الدراري، الكرماني ١٨/٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم ٢٣/١ رقم ٦٣.

وذلك حين أُسر، ورُبط في سارية من سواري المسجد، فكان يرى لمدة ثلاثة أيام ما يحدث فيه، مع ملاطفة رسول الله ﷺ له، وتكرار مخاطبته بقوله: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ» (١).

وقد كان أثر ذلك التعامل، وتلك المشاهدة، بعد الأمر بفك وثاقه وإطلاقه أن قفِل عائداً إلى المسجد؛ ليعلن إسلامه، ويُفصح عن تغيّر مشاعره وكيانه حين قال: "يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ» (٢).

وفي بيان استخدام مثل هذا الأسلوب قال النووي رحمه الله (ت ٦٧٦هـ): "إن هذا من تأليف القلوب، وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير" (٣).

وهذا قِبطي(٤) مُرسل من قريش، يُوضّح سياق خطابه وكلامه شدة قناعته ورغبته باعتناق الإسلام؛ وتأكيد ذلك بالقسم، وعدم الرجوع، واتباعه بلفظة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الخصومات، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ٥/١٧٠ رقم ٤٣٧٢.

(٢) صحيح البخاري ٥/١٧٠ رقم ٤٣٧٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٢/٨٩.

(٤) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ١/ ١٥٦ رقم ١٠.

التأبيد [١]، فأرشده ﷺ بما عليه فعله والقيام به في مثل هذا الموقف، وأنه يفي بالعهود، ولا ينقضها.

فقد جاء عن أبي رافع رضي الله عنه أنه "قَالَ: بَعَثَتْنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُلْقِيَ فِي قَلْبِي الْإِسْلَامُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلَا أَحْبِسُ الْبُرُدَ، وَلَكِنِ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الْآنَ فَارْجِعْ» قَالَ: فَذَهَبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمْتُ" [٢].

وقد بيّن الخطابي رحمه الله (ت ٣٨٨هـ) معنى وفقه هذا الحديث بقوله: "لا أخيس بالعهد؛ معناه لا أنقض العهد، ولا أفسده ...، وفيه من الفقه أن العقد يرعى مع الكافر كما يرعى مع المسلم، وأن الكافر إذا عقد لك عقد أمان فقد وجب عليك أن تؤمنه، وأن لا تغتاله في دم ولا مال ولا منفعة، وقوله لا أحبس البرد فقد يشبه أن يكون المعنى في ذلك أن الرسالة تقتضي جواباً، والجواب لا يصل إلى المرسل إلاّ على لسان الرسول بعد انصرافه، فصار كأنه عقد له العهد مدة مجيئه ورجوعه" [٣].

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي، ٢/ ٢٥٦٣.

(٢) سنن أبي داود، أبوداود، كتاب الجهاد، باب في الإمام يستجن به في العهود، ٣/ ٨٢ رقم ٢٧٥٨، وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ٢/٣١٥ رقم ٧٠٢.

(٣) معالم السنن ٢/ ٣١٧، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١/ ١١٥.

ومن نماذج التسامح والتعايش أيضاً ما كان من حُسن التعامل مع اليهود بزيارة مريضهم، نحو مرض الغلام اليهودي الذي كان يخدم المصطفى ﷺ، وذلك حين أتاه «يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» (١).

ففي مثل هذا الموقف إشارة إلى ما كان من إيجابية التعايش والتزاور، ومدى علاقة الابن وأبيه وثقتهما برسول الله ﷺ ودعوته، ولا يخفى ما في ذلك من زيادة التالف، والإظهار العملي لمحاسن هذا الدين الحنيف ومزاياه، وتيسير التعرف عليه وقبوله من الآخرين (٢).

كما ظهر ذلك في ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه حين قال: "مَرَّ بِنَا جَنَازَةٌ، فَقَامَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَقُمْنَا بِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الجِنَازَةَ، فَقُومُوا» (٣).

وقد رُوي تطبيق بعض الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم لذلك عندما مرت جنازة لمرءٍ من أهل الذمة وسؤالهم عن مبرر قيامهم لها؛ فقد "كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا،

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات ٩٤/٢ رقم ١٣٥٦.

(٢) انظر: عمدة القاري، العيني ١٧٥/٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، ٨٥/٢ رقم ١٣١١.

فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا» (١).

ولا تخفى وصية رسول الله ﷺ حين قال: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢)؛ ومن ثم "فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام" (٣).

وقد تأسى به ﷺ من بعده، فهذا على سبيل المثال عمر الفاروق رضي الله عنه في آخر حياته يوصي من بعده بأهل الذمة خيراً، فيقول: "وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلاَ يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ" (٤).

وأختم هذه الدراسة بنموذج مما أورده أحد علماء المسلمين في القرن السادس – أي قبل ما يُقارب ٨٠٠ سنة – من أمثلة تُبيّن بإيجاز ما يملكه المسلمون أصالة من مبادئ وقيم وثقافة ترسخ وتعزز التسامح وحسن التعايش،

---

(١) صحيح البخاري رقم ١٣١٢، وانظر: صحيح مسلم، باب القيام للجنازة، ٢/ ٦٦١ رقم ٩٦١، ولبيان ما أورده العلماء في مشروعية القيام للجنازة، ينظر مثلاً: شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣/ ٢٩٥، وفتح الباري، ابن حجر ٣/ ١٨٠.

(٢) سنن أبي داود، أبوداود، كتاب الخراج، باب في تعثير أهل الذمة، ٣/ ١٧٠ رقم ٣٠٥٢، وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/٨٠٧ رقم ٤٤٥.

(٣) الفروق، القرافي ٣/ ١٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قصة البيعة، ٥/ ١٧ رقم ٣٧٠٠.

وحب الخير والسلام للآخر وقبوله، واستمرار مُكنة وأهلية التطبيق المتزن والممارسة الإيجابية في عصرنا الراهن وتواليه.

فقد سبق الإشارة بإيجاز إلى ما ذكره القرافي رحمه الله (ت ٦٨٤هـ) من التفريق بين قاعدتي حُسن التعامل مع غير المسلمين، وموالاتهم [١]، وأضيف عليه هنا ما أورده من الأمثلة النوعية، والنماذج التحفيزية الداعمة لمسار التطبيق والممارسة.

وذلك حين قال بشيء من التفصيل: "فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم، والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً منا بهم، لا خوفاً وتعظيما، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم، وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، ومن العدو أن يفعله مع عدوه، فإن ذلك من مكارم الأخلاق ... ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالاً لأمر ربنا عز وجل، وأمر نبينا ﷺ" [٢].

وقد كُتب ودُوِّن الكثير من الثناء والشهادات على سماحة الإسلام وأهله، وعلى حُسن تعايشهم وتعاملهم مع غيرهم، وإلى العناية الواضحة بتعزيز وترسيخ

---

(١) انظر: في هذه الدراسة: المطلب الثالث من المبحث الأول، المحور (الثاني) ص ١٢.

(٢) الفروق ٣/ ١٤-١٦.

هذه القيم، وجعلها واقعاً معاشاً في حياة المسلمين وغيرهم، ومن ذلك على سبيل المثال ما أكده الطبيب والمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون (Gustave Le Bon) من احترام المسلمين لثقافات الشعوب وعاداتها، وأن الأمم لم تعرف متسامحين مثلهم، ولا ديناً كدينهم، وذلك حين أشار إلى أن التواصل والتعامل مع مخالفيهم يكون: "بلطف عظيم؛ تاركين لهم قوانينهم ومعتقداتهم ... فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً مثل دينهم" (١).

وفي أثناء كتابته عن القرآن الكريم، وإيراده للعديد من الآيات في مختلف المجالات، تطرق لتعامل النبي ﷺ مع اليهود والنصارى، وكثرة تسامحه معهم، وأن الإسلام من أكثر الأديان ملاءمة وتشجيعاً للعلم واكتشافاته، ومن أعظمها وأجلها ضبطاً وتهذيباً للنفوس، وحملها وتهيئتها للتخلق والاتصاف والعمل بأخلاقه، كالعدل والتسامح والإحسان؛ مما ساعد على تقبله وسطوع نور حضارته الوهاج، وانتشاره في العالم (٢).

وكذلك أشار العالم والمؤرخ الإنجليزي توماس ارنولد (Thomas W Arnold) إلى تسامح المسلمين وتأثيرهم في النصارى، ومن ذلك قوله: "أما عن حمل الناس على الدخول في الإسلام، أو اضطهادهم بأية وسيلة من وسائل الاضطهاد، في الأيام الأولى التي أعقبت الفتح العربي، فإننا لم نسمع عن ذلك

---

(١) حضارة العرب، لوبون، غوستاف، ٦٣٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٢٨ – ١٣٣.

شيئاً، وفي الحق إن سياسية التسامح الديني التي أظهرها هؤلاء الفاتحون نحو الديانة المسيحية كان لها أكبر الأثر في تسهيل استيلائهم على هذه البلاد" (١).

كما أشار إلى سياسة التسامح، وما أحدثته من أثر؛ نحو تسمي الكثير من النصارى بأسماء عربية، واندماجهم واختلاطهم بالمجتمع المسلم، وترجمة الإنجيل، والقوانين القديمة إلى العربية؛ ليسهل على المسيحين استعمالها، وما تعرضت له لغتهم من النسيان شيئاً فشيئاً (٢).

وبنحوه ما أشارت إليه المستشرقة الإيطالية، وأستاذة اللغة العربية بجامعة نابولي بإيطاليا لورا فاغليري (Laura Vaglieri) من أصالة التسامح في الإسلام، وذلك حين قالت: "فليس من الغلو أن نصرّ على أن الإسلام لم يكتف بالدعوة إلى التسامح الديني، بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءاً من شريعته الدينية" (٣).

كما تطرقت لكثرة الأمثلة والنماذج في سيرته ﷺ الدالة على امتزاج الرحمة والعدل في حياته، وأنهما الأكثر نبلاً في الإنسان، وقولها: "وليس من العسير تأييد هذا بكثير من الأمثلة المنثورة في سيرته" (٤).

وبهذا أصل إلى نهاية مطاف هذه الدراسة ومراميها؛ التي آمل أن يكون في ما قُدم فيها نوعاً من الفائدة المرجوة في مسار إبراز قيم التسامح والتعايش

---

(١) الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ارنولد، توماس، ١٥٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ١٥٩ – ١٦٠.

(٣) دفاع عن الإسلام، فاغليري، لورا فيشيا، ٣٥.

(٤) المرجع السابق ٣٨ – ٣٩.

السلمي وتعزيزها في المجتمع لدى المسلمين وغيرهم؛ وإبراز محاسن هذا الدين العظيم وفضائله، وسبقه، ومعالجة ما يخالف ذلك من مظاهر الغلو والعنف والشدة والانحلال، بما يُرجى عوده عليهم وعلى مجتمعاتهم بالخير والنفع، وتحقيق التقدم والازدهار، وما مسلكه نيل سعادة الدارين.

الخاتمة

على ضوء ما ناقشته هذه الدراسة وتناولته يتم في خاتمتها استعراض النقاط والنتائج التالية:

تُشير مفردة التسامح والتعايش السلمي إلى الأخذ بالليونة والسهولة، ومجانبة التضييق والتشدد؛ للاشتراك في شؤون الحياة على الألفة والتعاون، وفق ما جاء به الشرع المطهر.

وعبارة التعايش السلمي مصطلح معاصر حديث تفاوت تناول مفهومه وتحديد معانيه، وأنه لم يُدرج في قواميس العلاقات الدولية إلا في أواسط الخمسينيات من القرن العشرين.

وأنه مع سعي البشرية المستمر إلى تحسين أواصر علاقتها، فلا تخلو فترات التاريخ وحِقبه من تغذية وتسمين بوادر المغالبة والمشاحنة، والصراعات؛ لأسباب ومبررات مختلفة، وأمام مثل هذه النظريات المزعزعة للتسامح والتعايش، تعالت أصوات لرفضها ونقدها.

وجاء إعلان منظمة اليونسكو لمبادئ التسامح عام ١٩٩٥م، وضرورته لِرَوم عيش يتسم بجودة الحياة وإيجابياتها، وتخفيض قلقها وسلبياتها.

وأنه بشيء من التأمل في خطاب القرآن والسنة، يُشاهد بجلاء كثرة توافر مؤكدات الاعتناء والاهتمام بانتظام شؤون البشر ومعززاتها؛ بما يحقق لهم التعارف والتآلف، ويباعدهم عن مسببات التنافر والتصادم؛ وذلك منذ ما يُقارب ١٤٤٤ سنة.

وأن قصد الكمال في العلاقات غير وارد؛ ليدرك الإنسان شيئا من طبيعته، فيُحسن قيادتها وضبطها، ومعالجة ما قد يصدر منها من الطيش والعجلة إلى التروي وإدراك مآلات الأمور.

وأن مفهوم التسامح وحسن التعايش بسلام لا يعني مجانبة العدل أو الإخلال به، ولا التسوية بين المحسن والمسيء.

وأُشير إلى ما حبا الله تعالى الإنسان من التكريم، والمزايا التي هيئته ومكنته من عمارة الأرض، وتشييد الحضارات، وامتلاك فرص التأثر والتأثير، ودعوته للتعارف والتعايش والتعاون البنّاء.

وأن مقومات وجذور ذلك وثماره عبارة عن مجموعة من الصفات السامية، والممارسات المندرجة في الإسلام تحت مصطلح حُسن الخُلق بسعته وتنوعه وشموله.

وقد حوى الكتاب العزيز والسنة المطهرة الكثير من السمات المعززة للتسامح والتعايش السلمي، والمرسخة لها في نفوس الناس وسلوكياتهم، وتهيئتهم للتخلق والاتصاف بها وتطبيقها.

وأن ترسيخ قيم التسامح والتعايش بين الناس على اختلاف أصنافهم نظرياً وعمليًّا يتطلب كما لوحظ في النماذج الواردة الحضور والتواجد الفعلي للتلطف والرفق.

وظهر من خلال تلك النماذج التطبيقية في العهد النبوي أن التسامح والتعايش الآمن كان منهجاً بارزاً في بناء وتقوية أواصر علاقات المسلمين

ببعضهم، وكذلك كان بِراً وجمالاً مع غيرهم؛ ممن عايشهم وخالطهم، واطلع على محاسن دينهم وأحكامه وتعاليمه.

وخُتمت الدراسة بنموذج مما أورده أحد علماء المسلمين قبل ما يُقارب ٨٠٠ سنة، من أمثلة تُبيّن بإيجاز ما يملكه المسلمون أصالة من مبادئ وقيم وثقافة ترسخ وتعزز التسامح وحسن التعايش في المجتمعات، واستمرار مُكنة وأهلية التطبيق المتزن، والممارسة الإيجابية في عصرنا الراهن وتواليه.

وأخيراً، وبناء على ما تم ذكره وإيراده، فإن مما يوصى به: إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول تطبيقات قيم التسامح والتعايش الإيجابي بين المسلمين أنفسهم وغيرهم، في عصور الإسلام المختلفة وعصرنا الراهن، وإبراز آثارها، وثمارها، وضوابطها.

كما يُقترح تدريس ما حفلت به السيرة النبوية وتاريخ المسلمين لتعزيز هذا الجانب في مراحل التعليم الأولى.

وكذلك النظر في مدى مناسبة وإمكانية دعم متخصصي التقنية والمونتاج لإخراج تطبيقات، إلكترونية، وأفلام قصيرة تُعزز هذا المجال، وتعالج ما يُضاده؛ لمختلف الأعمار والثقافات.

قائمة المصادر والمراجع

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، ط: ١، تحقيق: علي معوض وآخر، د.م، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٢. أسس التعايش السلمي في ضوء وثيقة المدينة المنورة، عدلاوي، علي، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، جامعة زيان عاشور بالجلفة – كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع١، ٢٠١٠، ٧٩ – ١٠١.

٣. الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن ٢١، التويجري، عبدالعزيز بن عثمان، ط: ٢، الرباط، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو، ٢٠١٥م.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ

٥. التسامح والإخاء الإنساني في وثيقة الرسول ﷺ بالمدينة المنورة: دراسة تاريخية، مرجونة، إبراهيم محمد، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، ج ١، ع ٣٩، ٢٠١٥م، ٣٤٣ – ٣٧٨.

٦. التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، الحصين، صالح بن عبدالرحمن، ط: ١، الرياض، مؤسسة الوقف، ١٤٢٩هـ.

٧. تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتنغتون، موللر هارالد، ط: ١، ترجمة: إبراهيم أبوهشهش، بيروت، دار الكتب الجديد المتحدة، ٢٠٠٥م.

٨. التعايش السلمي وآليات تكريسه: التسامح الديني نموذجاً، دريدي، وفاء وآخر، الجزائر، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باتنة، ج ٢، ع ١٦، ٢٠١٩م، ٤٣٥ – ٤٦٠.

٩. التعايش دراسة نقدية في ضوء الإسلام، يلكوي، عبدالله موسى، رسالة ماجستير، اليمن، جامعة العلوم والتكنولوجيا، ٢٠٠٨م.

١٠. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل، ط: ٢، تحقيق: سامي سلامة، د.م، دار طيبة، ١٤٢٠هـ

١١. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ط: ١، تحقيق: أحمد شاكر، د.م، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
١٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، ط: ٢، تحقيق: أحمد البردوني وآخر، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.
١٣. حاشية السندي على سنن النسائي، السندي، محمد بن عبدالهادي، ط: ٢، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
١٤. حضارة العرب، لوبون، غوستاف، د.ط، ترجمة: عادل زعيتر، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافية، ٢٠١٢م.
١٥. الحوار والتعايش مع غير المسلمين في العهد النبوي: مرويات وفد نصارى نجران أنموذجاً: دراسة حديثية تحليلية، العودة، طارق بن عودة، مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، جامعة الملك خالد، مج ٢٨، ع ٢، ٢٠٢٠م، ٢٢٥ – ٢٥٧.
١٦. دعوة الإسلام إلى الحوار والتعايش والاعتراف بالآخر، كرشيد، الصادق، أعمال ندوة موقع الإسلام في القيم الكونية وحوار الحضارات، تونس، جامعة الزيتونة، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، ٢٠٠٥، ١٨١ – ١٩٤.
١٧. الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ارنولد، توماس، ترجمة: حسن إبراهيم وآخرون، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.
١٨. دفاع عن الإسلام، فاغليري، لورا فيشيا، ط: ٥، نقله إلى العربية: منير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١م.
١٩. الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، د.ط، تحقيق: أبوزيد العجمي، القاهرة، دار السلام، ١٤٢٨هـ.
٢٠. رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، د.ط، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٣هـ.

٢١. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ط:٢٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ.
٢٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، محمد، ط: ١، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ.
٢٣. سنن أبي داود، أبوداود، سليمان، د.ط، تحقيق: محمد عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.
٢٤. صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ط: ١، تحقيق: محمد الناصر، د.م، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٢٥. صحيح مسلم، مسلم، د.ط، تحقيق: محمد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
٢٦. صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، هنتنتون، صامويل، ط: ٢، ترجمة: الشايب، طلعت، م.د، ن.د، ١٩٩٩.
٢٧. العدالة والتسامح في الخطاب الدعوي القرآني ودعوة يونس عليه السلام أنموذجاً، المشهداني، معالم سالم، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، ج ١١، ع ١٩، ٢٠١٩م، ٤٧ – ١٠٠.
٢٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، محمود، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
٢٩. الفروق، القرافي، أحمد بن إدريس، د.ط، بيروت، عالم الكتب، د.ت.
٣٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، زين الدين محمد، ط: ١، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.
٣١. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين أبوالطاهر، ط: ٨، تحقيق بإشراف: محمد العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ.
٣٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود بن عمرو، ط: ٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٣٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد بن محمد، ط: ١، تحقيق: أبومحمد بن عاشور، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.
٣٤. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أيوب بن موسى، د.ط، تحقيق: عدنان درويش وآخر، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت.
٣٥. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، ط: ٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.
٣٦. مبادئ في العلاقات الدولية من النظريات إلى العولمة، منذر، محمد، ط: ١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.
٣٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي، علي، ط: ١، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ.
٣٨. معالم السنن شرح سنن أبي داود، الخطابي، حمد بن محمد، ط:١، حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ.
٣٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، مختار، أحمد، ط: ١، د.م، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ.
٤٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط.د، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت.
٤١. معجم كلمات القرآن الكريم، خضر، محمد زكي، ط: ٢، د.م، د.ن، ١٤٣٣هـ.
٤٢. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد، ط.د، تحقيق: عبدالسلام هارون، د.م، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٤٣. المغني، ابن قدامة، عبدالله بن أحمد، د.ط، د.م، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٤٤. مفتاح دار السعادة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

٤٥. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، أحمد بن عمر، ط: ١، تحقيق: محمد مستو وآخرون، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٧هـ.
٤٦. من أطروحة صدام الحضارات في فلسفة صموئيل هنتنجتون إلى حوارها وتحالفها، بوالسكك، عبدالغني، رسالة دكتواره، الجزائر، جامعة الحاج لخضر باتنه، ٢٠١٥م.
٤٧. مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، الرفاعي، أحمد، ط: ٦، الأردن، دار وائل، ٢٠٠٩م.
٤٨. المنهج النبوي في تحقيق مقصد التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، باخشوين، هيفاء أحمد، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، المدنية المنورة، الجامعة الإسلامية، ج ٤٩، ع ١٧٥، ٢٠١٧م، ٢٢٩ – ٢٩٦.
٤٩. المنهج النبوي في تعزيز قيم التعايش الإنساني، عبدالله، زاهي، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع ١١٩، ٢٠١٩م، ٣٤٣ – ٣٩١.
٥٠. منهج النبي ﷺ في التعامل مع غير المسلمين: وثيقة المدينة المنورة أنموذجاً، يوسف، حسين إسحاق، مجلة معالم الدعوة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، ع ٦، ٢٠١٣م، ١١٥ – ١٣٨.
٥١. الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى، ط: ١، تحقيق: أبوعبيدة مشهور آل سلمان، د.م، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ.
٥٢. نظرية صراع الحضارات والعلاقات الدولية: رؤية نقدية، العتيبي، سعود محمد، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز- الاقتصاد والإدارة، مج ١٨، ع ١، ٢٠٠٤، ٢٠٧ – ٢٢٦.
٥٣. نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فوكوياما، فرانسيس، د.ط، إشراف: صفدي، مطاع، بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٩٣م.
٥٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك بن محمد، د.ط، تحقيق: طاهر الزاوي وآخر، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.

٥٥. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، ط: ١، تحقيق: محمد الحاج، جدة، السعودية، دار القلم، ١٤١٦هـ.
٥٦. الوثيقة النبوية في المدينة المنورة متى كتبت؟ تحقيق تاريخي، الزيبق، إبراهيم، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٩٠، الجزء ١، ٢٠١٧م، ١٥٩ — ١٧٦.

Bibliography

Asad al-ghābah fī maʻrifat al-ṣaḥābah, Ibn al-Athīr, ʻAlī ibn Abī al-karam, Ṭ: 1, taḥqīq: ʻAlī Muʻawwaḍ wa-ākhir, D. M, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, in 1415 AH.

Usus al-taʻāyush al-Sulamī fī ḍaw' wathīqah al-Madīnah al-Munawwarah, ʻdlāwy, ʻAlī, Majallat Ansanat lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, Jāmiʻat Zayyān ʻĀshūr bāljlfh–Kullīyat al-ʻUlūm al-ijtimāʻīyah wa-al-insānīyah, ʻ1, 79–101, in 2010 AD.

al-Islām wa-al-taʻāyush bayna al-adyān fī ufuq al-qarn 21, al-Tuwayjirī, ʻAbd-al-ʻAzīz ibn ʻUthmān, Ṭ: 2, al-Rabāṭ, al-Munaẓẓamah al-Islāmīyah lil-Tarbiyah wa-al-ʻUlūm wa-al-Thaqāfah–Īsīskū, in 2015 AD.

Aḍwā' al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qur'ān bi-al-Qur'ān, al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Amīn, D.Ṭ, Bayrūt, Dār al-Fikr, in 1415 AH.

al-Tasāmuḥ wāl'khā' al-insānī fī wathīqah al-Rasūl ﷺ bi-al-Madīnah al-Munawwarah: dirāsah tārīkhīyah, mrjwnh, Ibrāhīm Muḥammad, Majallat Kullīyat al-Ādāb, Jāmiʻat Banhā, J 1, ʻA 39, 343–378, 2015 AD.

al-Tasāmuḥ wa-al-ʻudwānīyah bayna al-Islām wa-al-Gharb, al-Ḥaṣīn, Ṣāliḥ ibn ʻAbd-al-Raḥmān, Ṭ: 1, al-Riyāḍ, Mu'assasat al-Waqf, H.

Taʻāyush al-thaqāfāt Mashrūʻ mḍād lhntnghtwn, mwllr hārāld, Ṭ: 1, tarjamat: Ibrāhīm abwhshhsh, Bayrūt, Dār al-Kutub al-jadīd al-Muttaḥidah, in 2005 AD.

al-Taʻāyush al-Sulamī wa-ālīyāt tkrysh: al-tasāmuḥ al-dīnī namūdhajan, Duraydī, Wafā' wa-ākhir, al-Jazā'ir, Majallat Dirāsāt fī al-ʻUlūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimāʻīyah, Jāmiʻat Bātnah, J 2, ʻA 16, 435–460, in 2019 AD.

al-Taʻāyush: dirāsah naqdīyah fī ḍaw' al-Islām, ylkwy, Allāh Mūsá, Risālat mājistīr, al-Yaman, Jāmiʻat al-ʻUlūm wa-al-Tiknūlūjiyā, in 2008.

Tafsīr al-Qur'ān al-ʻAẓīm, Ibn Kathīr, Ismāʻīl, Ṭ: 2, taḥqīq: Sāmī Salāmah, D. M, Dār Ṭaybah, in 1420 AH.

Jāmiʻ al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān, al-Ṭabarī, Ṭ: 1, taḥqīq: Aḥmad Shākir, D. M, Mu'assasat al-Risālah, in 1420 AH.

al-Jāmiʻ li-aḥkām al-Qur'ān, al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad, Ṭ: 2, taḥqīq: Aḥmad al-Baraddūnī wa-ākhir, al-Qāhirah, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, in 1384 AH.

Ḥāshiyat al-Sindī ʻalá Sunan al-nisā'ī, al-Sindī, Muḥammad ibn ʻbdālhādy, Ṭ: 2, Ḥalab, Maktab al-Maṭbūʻāt al-Islāmīyah, in 1406 AH.

Ḥaḍārat al-ʻArab, Lūbūn, Ghūstāf, D. Ṭ, tarjamat: ʻĀdil Zuʻaytir, Miṣr, Muʼassasat Hindāwī lil-taʻlīm wa-al-thaqāfīyah, in 2012 AD.
al-Ḥiwār wa-al-taʻāyush maʻa ghayr al-Muslimīn fī al-ʻahd al-Nabawī: Marwīyāt wafd Naṣārá Najrān unmūdhajan: dirāsah Ḥadīthīyah taḥlīlīyah, al-ʻAwdah, Ṭāriq ibn ʻAwdah, Majallat Jāmiʻat al-Malik Khālid lil-ʻUlūm al-sharʻīyah wa-al-Dirāsāt al-Islāmīyah, Jāmiʻat al-Malik Khālid, Majj 28, ʻA 2, 225–257, in 2020 AD.
Daʻwat al-Islām ilá al-Ḥiwār wa-al-taʻāyush wālāʻtrāf bi-al-ākhar, krshyd, al-Ṣādiq, aʻmāl Nadwat Mawqiʻ al-Islām fī al-Qayyim al-kawnīyah wa-ḥiwār al-ḥaḍārāt, Tūnis, Jāmiʻat al-Zaytūnah, Markaz al-Dirāsāt al-Islāmīyah bi-al-Qayrawān, 181–194, in 2005 AD.
al-Daʻwah ilá al-Islām baḥth fī Tārīkh Nashr al-ʻaqīdah al-Islāmīyah, Arnold, Tūmās, tarjamat: Ḥasan Ibrāhīm wa-ākharūn, al-Qāhirah, Maktabat al-Nahḍah al-Miṣrīyah, in 1970 AD.
Difāʻ ʻan al-Islām, fāghlyry, Lūrā fyshyā, Ṭ: 5, naqalahu ilá al-ʻArabīyah: Munīr al-Baʻlabakkī, Bayrūt, Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn, in 1981 AD.
al-Dharīʻah ilá Makārim al-sharīʻah, al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad, D. Ṭ, taḥqīq: abwzyd al-ʻAjamī, al-Qāhirah, Dār al-Salām, 1428 AH.
Rafʻ al-malām ʻan al-aʼimmah al-Aʻlām, Ibn Taymīyah, Aḥmad ibn ʻbdālḥlym, D. Ṭ, al-Riyāḍ, al-Riʼāsah al-ʻĀmmah li-Idārāt al-Buḥūth al-ʻIlmīyah wa-al-Iftāʼ wa-al-Daʻwah wa-al-Irshād, in 1403 AH.
Zād al-maʻād fī Hudá Khayr al-ʻibād, Ibn al-Qayyim, Ṭ: 27, Bayrūt, Muʼassasat al-Risālah, in 1415 AH.
Silsilat al-aḥādīth al-ṣaḥīḥah, al-Albānī, Muḥammad, Ṭ: 1, al-Riyāḍ, Maktabat al-Maʻārif, in 1415 AH.
Sunan Abī Dāwūd, abwdāwd, Sulaymān, D. Ṭ, taḥqīq: Muḥammad ʻAbd-al-Ḥamīd, Bayrūt, al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, (N.D).
Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl, Kitāb al-īmān, Bāb al-Dīn Yusr, Ṭ: 1, taḥqīq: Muḥammad al-Nāṣir, D. M, Dār Ṭawq al-najāh, in 1422 AH.
Ṣaḥīḥ Muslim, Muslim, D. Ṭ, taḥqīq: Muḥammad ʻAbd-al-Bāqī, Bayrūt, Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī, (N.D).
Ṣaddām al-ḥaḍārāt iʻādat Ṣunʻ al-niẓām al-ʻĀlamī, hntntwn, Ṣāmwīl, Ṭ: 2, tarjamat: al-Shāyib, Ṭalʻat, in 1999 AD.
al-ʻAdālah wa-al-tasāmuḥ fī al-khiṭāb al-daʻawī al-Qurʼānī wa-daʻwah Yūnus ʻalayhi al-Salām unmūdhajan, al-Mashhadānī, Maʻālim Sālim, Majallat Kullīyat al-ʻUlūm al-Islāmīyah, Jāmiʻat al-Mawṣil, J 11, ʻA 19, 47–100, in 2019 AD.

‘Umdat al-Qārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, al-‘Aynī, Maḥmūd, D. Ṭ, Bayrūt, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, (N.D).
al-Furūq, al-Qarāfī, Aḥmad ibn Idrīs, D. Ṭ, Bayrūt, ‘Ālam al-Kutub, (N.D).
Fayḍ al-qadīr sharḥ al-Jāmi‘ al-Ṣaghīr, al-Munāwī, Zayn al-Dīn Muḥammad, Ṭ: 1, Miṣr, al-Maktabah al-Tijārīyah al-Kubrá, in 1356 AH.
al-Qāmūs al-muḥīṭ, al-Fayrūz Ābādī, Majd al-Dīn abwālṭāhr, Ṭ: 8, taḥqīq bi-ishrāf: Muḥammad al‘rqswsy, Bayrūt, Mu’assasat al-Risālah, in 1426 AH.
al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl, al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Amr, Ṭ: 3, Bayrūt, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, in 1407 AH.
al-Kashf wa-al-bayān ‘an tafsīr al-Qur’ān, al-Tha‘labī, Aḥmad ibn Muḥammad, Ṭ: 1, taḥqīq: abwmḥmd ibn ‘Āshūr, Bayrūt, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, in 1422 AH.
al-Kullīyāt Mu‘jam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughawīyah, al-Kaffawī, Ayyūb ibn Mūsá, D. Ṭ, taḥqīq: ‘Adnān Darwīsh wa-ākhir, D. Ṭ, Bayrūt, Mu’assasat al-Risālah, (N.D).
Lisān al-‘Arab, Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, Ṭ: 3, Bayrūt, Dār Ṣādir, in 1414 AH.
Mabādi’ fī al-‘Alāqāt al-Dawlīyah min al-naẓarīyāt ilá al-‘awlamah, Mundhir, Muḥammad, Ṭ: 1, Bayrūt, al-Mu’assasah al-Jāmi‘īyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, in 2002 AD.
Mirqāt al-mafātīḥ sharḥ Mishkāt al-Maṣābīḥ, al-Harawī, ‘Alī, Ṭ: 1, Bayrūt, Dār al-Fikr, 1422 AH.
Ma‘ālim al-sunan sharḥ Sunan Abī Dāwūd, al-Khaṭṭābī, Ḥamad ibn Muḥammad, Ṭ: 1, Ḥalab, al-Maṭba‘ah al-‘Ilmīyah, 1351 AH.
Mu‘jam al-lughah al-‘Arabīyah al-mu‘āṣirah, Mukhtār, Aḥmad, Ṭ: 1, D. M, ‘Ālam al-Kutub, H.
al-Mu‘jam al-Wasīṭ, Ibrāhīm Muṣṭafá wa-ākharūn, Ṭ. D, Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah bi-al-Qāhirah, Dār al-Da‘wah, (N.D).
Mu‘jam Kalimāt al-Qur’ān al-Karīm, Khiḍr, Muḥammad Zakī, Ṭ: 2, D. M, D. N, 1433h.
Mu‘jam Maqāyīs al-lughah, Ibn Fāris, Aḥmad, Ṭ. D, taḥqīq: ‘Abdussalām Hārūn, D. M, Dār al-Fikr, in 1399 AH.
al-Mughnī, Ibn Qudāmah, Allāh ibn Aḥmad, D. Ṭ, D. M, Maktabat al-Qāhirah, in 1388 AH.
Miftāḥ Dār al-Sa‘ādah, Ibn al-Qayyim, Muḥammad ibn Abī Bakr, D. Ṭ, Bayrūt, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, (N.D).
al-Mufhim li-mā ushkila min Talkhīṣ Kitāb Muslim, al-Qurṭubī, Aḥmad ibn ‘Umar, Ṭ: 1, taḥqīq: Muḥammad Mastū wa-ākharūn, Dimashq, Dār Ibn Kathīr, in 1417 AH.

Min uṭrūḥat Ṣaddām al-ḥaḍārāt fī Falsafat Ṣamū'īl hntnjtwn ilá ḥwārhā wtḥālfhā, bwālskk, ʻAbd, Risālat dktwārh, al-Jazā'ir, Jāmiʻat al-Ḥājj Lakhḍar bātnh, in 2015 AD.

Manāhij al-Baḥth al-ʻIlmī taṭbīqāt idārīyah wa-iqtiṣādīyah, al-Rifāʻī, Aḥmad, Ṭ: 6, al-Urdun, Dār Wā'il, in 2009 AD.

al-Manhaj al-Nabawī fī taḥqīq Maqṣad al-taʻāyush al-Sulamī bayna al-Muslimīn wa-ghayrihim, Bākhshawayn, Hayfā' Aḥmad, Majallat al-Jāmiʻah al-Islāmīyah lil-ʻUlūm al-sharʻīyah, al-madanīyah al-Munawwarah, al-Jāmiʻah al-Islāmīyah, J 49, ʻA 175, , 229–296, in 2017 AD.

al-Manhaj al-Nabawī fī taʻzīz Qayyim al-taʻāyush al-insānī, Allāh, Zāhī, Majallat Kullīyat Dār al-ʻUlūm, Jāmiʻat al-Qāhirah, ʻA 119, 343–391, in 2019 AD.

Manhaj al-Nabī fī al-taʻāmul maʻa ghayr al-Muslimīn: wathīqah al-Madīnah al-Munawwarah unmūdhajan, Yūsuf, Ḥusayn Isḥāq, Majallat Maʻālim al-Daʻwah al-Islāmīyah, Jāmiʻat Umm Durmān al-Islāmīyah, ʻA 6, 115–138, in 2013 AD.

al-Muwāfaqāt, al-Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsá, Ṭ: 1, taḥqīq: abwʻbydh Mashhūr Āl Salmān, D. M, Dār Ibn ʻAffān, in 1417 AH.

Naẓarīyat ṣirāʻ al-ḥaḍārāt wa-al-ʻalāqāt al-Dawlīyah: ru'yah naqdīyah, al-ʻUtaybī, Saʻūd Muḥammad, Majallat Jāmiʻat al-Malik ʻbdālʻzyz-al-iqtiṣād wa-al-idārah, Majj 18, ʻA 1, 207–226, in 2004 AD.

Nihāyat al-tārīkh wa-al-insān al-akhīr, Fūkūyāmā, Frānsīs, D. Ṭ, ishrāf: Ṣafadī, Muṭāʻ, Bayrūt, Markaz al-Inmā' al-Qawmī, in 1993 AD.

al-Nihāyah fī Gharīb al-ḥadīth wa-al-athar, Ibn al-Athīr, al-Mubārak ibn Muḥammad, D. Ṭ, taḥqīq: Ṭāhir al-Zāwī wa-ākhir, Bayrūt, al-Maktabah al-ʻIlmīyah, in 1399 AH.

Hidāyat al-ḥayārá fī Ajwibat al-Yahūd wa-al-Naṣārá, Ibn al-Qayyim, Muḥammad ibn Abī Bakr, Ṭ: 1, taḥqīq: Muḥammad al-Ḥājj, Jiddah, al-Saʻūdīyah, Dār al-Qalam, in 1416 AH.

al-Wathīqah al-Nabawīyah fī al-Madīnah al-Munawwarah Mattá kutibat? taḥqīq tārīkhī, al-Zaybaq, Ibrāhīm, Majallat Majmaʻ al-lughah al-ʻArabīyah bi-Dimashq, Majj 90, al-juz' 1, 159–176, in 2017 AD.